نبراس الآداب
المهذب لأخلاق الشباب

عبد العزيز سيدي عمر

٢

الطبعة الثانية

الطبعة الثانية لكتاب

نبراس الآداب المهذب لأخلاق الشباب

لجامعه العبد الفقير إلى الله محمد عبد العزيز بن علي الملقب "سيدي عمر" الإمام والمدرس بالزاوية المهدية.

مدرسة سيدي البخاري
بلدية تيمي دائرة وولاية أدرار
منطقة توات صحراء الجزائر

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

﴿ مقدمة الطبعة الثانية لكتاب نبراس الاداب ﴾

الحمد لله حمدا يليق بكماله. وعظم جوده واحسانه. يوافي جلائل ودقائق انعامه. والشكر له على ماخصنا به من النسبة إلى أمة خير اصفيائه. سيدنا محمد المرسل بالرحمة لجميع مخلوقاته. المنزل عليه ﴿وماأرسلناك إلارحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء رقم 107 القائل ﴿أدبني ربي فأحسن تأديبي وعلمني فأحسن تعليمي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين﴾.

اللهم صل عليه صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يارب العالمين وسلم عليه كذلك وعلى أله وصحبه وازواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وذريته والتابعين لنهجه القويم إلى يوم الدين. وعلينا معهم يا أرحم الراحمين. وبعد

فنظرا لنفوذ الطبعة الأولى من شرحي على المنظومة المسمات، (هدية الالباب) ولكثرة الراغبين فيه من الطلاب، وماورد علي من سؤال الأحباب وذوي الالباب، وإقبال الناس عليه من شيوخ وشباب... قمت عن ساعد الجد مستعينا بالواحد الصمد، الذي من إستعان به أغناه عماسواه، ومن توكل عليه كفاه أمر ودنياه، فلاحول ولاقوة إلا به ماعظم شأنه، وارفع مكانه، يحدوني قوله عزوجل ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين﴾ سورة فصلت رقم 33.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم﴾ قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ماهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى﴾ اهـ كما في الحلية، ومن هذا القبيل نشر العلم ولاسيما التأليف الذي يبقى ان حفظه الله ببقاء الدهر، وصاحبه حي ببقائه فهو من الأعمال التي لاتنقطع بالموت كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوا له. اهـ رواه مسلم. قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ماتصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر﴾ رواه الطبراني في الكبير. قال شارحه سواء كان العلم بطريق الإرشاد والوعظ أو بطريق التأليف والنشر. اهـ وقوله صلى الله عليه وسلم ﴿إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لإبن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته اهـ رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما إنتهى.

وها أنا أقدمه للقراء في طبعته الثانية الجديدة، بعد زيادة في بعض فصوله لتمام الفائدة كي تكون الطبعة الثانية أكمل من الأولى وأعلى، اضرع إلى الله الكريم واسأله بذل وخضوع أن يجعله عملا خالصا لوجهه إنه سميع لمن ناجاه قريب ممن دعاه، ووفق اللهم القايمين بالإعانة على الطبع واعنهم بقوتك التي لاترام، فان من صحبه عونك هانت عليه الأمور الصعاب ومن لم يصاحبه عونك عجز عن فتح أسهل الأبواب، ففي بعض ماورد من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ﴿اللهم لاسهل إلا ماجعلته سهلا وانت تجعل الحزن إذا شئيت سهلا﴾، أوكما قال القائل

إذا كان عون الله للمرء ناصرا تهيئا له من كل صعب مراده

وإن لم يكن عـون من الله للفتـى فأكـثر مايجنـي عليه إجتـهاده

اخـــر:

إذا لـم يعينـك الله فيمـا تريـــده فليس لـمخلوق إليـه سبيـــل

وإن هو لـم يـرشـدك في كل مسلك ضللت ولوان السمك دليـــل اهـ

(وإلـى التقاريـظ الموجـودة لدينا)

كلمة الحافظ الهمام، المشارك الإمام، العالم الرباني، والفيض الرحمـاني، العلامة المدقـق، الشـاعر المفلـق، السيد مـولاي الحـاج بـن مـولاي أحمد المقيم بالمدرسة الطاهرية بتسفاوت بلدية فنغيل ولاية أدرار.

وهذا ماابداه في تقريظه من النظم العجيب، جزاه الله خيرا.

الحمد لله هـادي الخـلـق للرشـــد ثم الصلاة على ذي العز والسـودد

وبعـد فالعلـم أفضـل المكاسـب في كل الحياة وذلك الروح للجسـد

فجـد فيـه وجـانب كل شـاغلـــة تلهيك عنـه وانفق فيه ذات اليـد

وبـع بـه درر الانـفـاس مـجتـهـدا فيه بتحصيل فرض العين للاحـــد

واعمـل بـماقـد علمت فهو قائـــده ثم إلـتزم ادبـــا وفيـه فـاجتهـد

وكـن لـه مكـثرا على العلـوم كنسبـة الدقيـق لـملـح تـحـظ بالـفـائـــد

فهـو زينـتـه وهـو الـوسيلـــة في قبـولـه وفي نيـل فضلـه العـائـد

فالـعلـم مـن دون ادب نـهـايـتـــه درك الشقاء في ذي الحياةأوفي غد

فاحـفـظ جواهره تكسي مـحـاسنـه واقـراء تئـاليـفه واعمل بها تهتدي

وهـي جـمـلـة لاتـحصى لكثرتهـــا فـلايـحـاط بـهـا ولـو لمجـتـهـد

وإن احبسانهـا الـمنظـوم منها كما يكون أسهلها حـفظا لدى المبتـد

منه هدية الالباب بنظم بدا فرائدا احكمت نظما على عسجد

لاسيما بعد مازان ظواهرها شرح الإمام الاجل العالم الاوحد

الاموي المهدوى عبد العزيز إسمه نجل على ووالده كالولد

فهو شرح بدا مثل السماء حوى شمسا تضيء لكل طالب معتد

ياقوت الفاظه حلت أساليبه لله شرحا بدافى شكله الواحد

عليك ياطالبا به آدم درسه واحفظ معانيه تفز بماتريد

وأنظر بعين الرضا واستر معائيبه ودع مثالب ذي الأضغان والحسد

فقلما ينجو من معارض غالبا مؤلف لو إماما به قد نقتد

وذاك سنة ربنا جرت وسرت فيمن تشاركوا حرفة إلى الأبد

فنسأل الله عفوا ثم مغفرة تسبغ شارحنا ثوبا به يرتد

وان يمده بالفتح المديد الذي به يكون في مستوى على مصعد

كذاك يوضع في كل تئاليفه قبوله وقبول الناس للامد

ويصلح الأهل والأولاد كلهم بجاه خير الورى محمد أحمد

صل اللهم عليه الآل مع صحبه وكل متبع في سبله يغتد اهـ

قاله وكتبه العبد الضعيف الحاج بن احمد، إنتهى ماقاله جزاه الله خيرا.

وللعالم العلامة، المشارك الفهامة، البركة السيد الحاج الحسن بن سيدي عبد الرحمان الملقب الشيخ الزنجميري المدرس والإمام بمسجد بلدته المذكورة نفع الله به وأطال عمره لنفع البرية أمين.

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وأله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه ومن سار على نهجه القويم إلى يوم الدين.

وبعد فإن سيدي عبد العزيز سيدي عمر من لايجهل حاله لانه العالم الجليل والمحقق النبيل، يعلم ذلك منه من مارسه-أو اطلع تأليفه بيقين.

هذا وقد تصفحت كتابه المسمى (فتح الملك الوهاب، شرح هدية الالباب) فوجدته كتابا نفيسا وفق فيه مؤلفه والهم فيه رشده، فجزاك الله خيرا يامن وفقك الله لوضع هذا الشرح على هذه المنظومة التي لم يسبق أن رأينا عليها شرحا يحل مقفلها ويبين المعني من ألفاظها فلقد جيئت به كما ينبغي فهو حرى بأن يسمى (نبراس الاداب، المهذب لأخلاق الشباب) لأنه كإسمه نبراس يضيء للمسترشدين الطريق، ومفتاح تشع منه أنوار التحقيق فيالك من إمام فاضل همام هذبت بهذا الشرح الذي قيدت فيه ماأطلق، وفتحت فيه ماأغلق، هذبت فيه أخلاق الشباب، الجيل الناشئ الذي بتأديبه تصلح البلاد، إمتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم حين إستوصانا بالشباب، فقال عليه الصلاة والسلام ﴿إستوصوا بالشباب خيرا﴾ فالشباب شعبة من الجنون ولذا نجد أمثال هذا العالم النحرير والجهبذ الشهير يحاول أن يرأب ماانصدع وان يقوم مااعوج، وقد وفق في ذلك و لله الحمد، فهو حرى ان بقتنى وجدير أن يدرس، هذا وان المؤلف جزاه الله الأجر الجزيل، وضاعف له الثواب الكثير عدة مؤلفات (كقطف الزهرات، من أخبار علماء توات) وكتاب مقاومة الملحدين، بسيف سنة سيدي المرسلين، وشرح على نصيحة الشباب، تحت الطبع، وكتاب في فقه المواريث إسمه جوهرة الفرائض.

سيقدمه للطبع إن شاء الله، وهكذا ابقاه الله ذخرا حصينا لخدمة الإسلام ولنفع المسلمين أمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير لربه تعالى حسن بن عبد الرحمان الشيخ.

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين

كلمة الشريف الغطريف، العالم العلامة المنيف، السيد مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي المدرس بمدرسة الإمام مالك بقصر أوقديم بلدية وولاية أدرار حفظه الله.

نص ما أبداه فهمه السديد:

الحمد لله الذي رفع المؤمنين على سائر المخلوقات، ثم رفع العلماء منهم درجات، بقوله جل وعلا ﴿يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾، والصلاة والسلام على أشرف من في الأرض والسماوات سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم ينفخ في الصور فيصعق كل حي إلا من شاء رب البريات... وبعد فإن العلوم الشرعية أفضل الأعمال الموصلة إلى الله تعالى والطريق الموصل إليها والمعين عليها هو الاداب ولذا كان نصف العلم كما قال الشيخ الجليل سيدي محمد عبد الكريم بن سيدي الحاج محمد البلبالي في نصيحة له رحمه الله ونفعنا ببركاته:

نصف العلوم تأدب لقاصده ... لاخير في طالب خلا من تأديبه إلخ

هذا وإن من أحسن ما ألف في الادب، منظومة هدية الالباب، وكانت خالية عن شرح، فالهم الله شيخنا العالم النحرير، الجهبذ الفاضل، المسارع للخيرات، الباذل انفس عمره في نفع المخلوقات، سيدي محمد عبد العزيز بن

سيدي علي المهداوي الملقب سيدي عمر فوضع عليها شرحا مختصرا مفيدا جدا سماه.

(فتح الملك الوهاب، شرح هدية الالباب)

هذا وقد اطلعت على الشرح المذكور من أوله إلى أخره فإذا هو كتاب تلوح منه أنوار المعارف وتبدو من ألفاظه وحسن سبكه اسرار الفواتح ومنن اللطائف، حقيق بأن يسمى (نبراس الاداب، المهذب لأخلاق الشباب) فهو كتاب كإسمه، فتح ظاهر مبين، ونبراس مضيء معين، فلله درحا معه قد أخذ بمجامع الاداب والأخلاق الفاضلة والسير المحمدية التي ماتحلى بها شاب إلا سلكت به النهج السوي المستقيم، وماعرى عنها أخر الاضاع وانحراف وتاه في أودية المهالك وأخيرا أضرع إلى الله الكريم أن يطيل حياة شيخنا المذكور في صحة وعافية لنفع العبادة أمين وأستغفر الله من قولي أني تصفحت هذا الكتاب إلى أخره فإني لست باهل لقراءته فضلا عن تصفحه والتقريظ عنه وماتجرأت على هاته الكلمات إلا لمحبتي في العلم والعلماء وحسن ظني بربي أن ينظمني في سلكهم وإن لم أكن منهم يحدوني قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿المرء مع من أحب﴾، وكتب المعترف بالعجز والتقصير رادا العلم إلى السميع البصير التهامي بن محمد المقيم بقصر أوقديم بلدية وولاية أدرار لطف الله به وغفر ذنبه ووالديه وأشياخه وجميع المسلمين أمين، إنتهى.

وارجوا من الله الفتاح العليم ان تلاقى هذه الطبعة الثانية للكتاب ما لاقته الطبعة الأولى من تشجيع واقبال وهو ولي التوفيق والهادي إلى اقوم طريق.

ادرار الزاوية المهدية في 27 صفر 1419 هـ الوافق 22 جوان 1998م

﴿ محمد عبد العزيز سيدي عمر ﴾

بسم ا لله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي فضل الإنسان على سائر الحيوانات، وجعل له عقلا يستدل به على الصانع بالمصنوعات، وشق له سمعا وبصرا يسمع ويبصر بهما ماسطرته أئمة الدين في المدونات، من آداب وحكم ومواعظ سنيات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق وأعلى الصفات، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته إلى يوم رفع الدرجات، والتابعين وتابع التابعين من المسلمين والمسلمات.

وبعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه، الغني به عمن سواه، عبد العزيز ابن علي بن محمد عبد العزيز بن محمد فتحا بن محمد بن عمر صاحب الزاوّية المهدية ابن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني القرشي الأموي التواتي عفر ا لله ذنبه الماضي والآتي.

قد طلب مني بعض الإخوان، أصلح ا لله لي ولهم الحال والشأن، أن أشرح لهم هديه الألباب، في جواهر الآداب... للشيخ حسن أفندي رضي ا لله عنه ورحمه ونفعنا والمسلمين بما جمعه آمين... فسألت عن شراحها كثيرا و لم أظفر بأي شرح عليها ولابمن يخبرني به، فحينئذ استعنت با لله وتوكلت عليه، وتبرأت من الحول والقوة إليه... وشرحتها شرحا وجيزا مختصرا يبين المقصود منها (سميته):

(فتح الملك الوهاب، بشرح هدية الألباب)

غير أني لم أضعه لمن هو أعلى مني، بل لنفسي ولمن كان مبتدئا من الطلبة مثلي، ثم أعتذر لذوي العقول، من التقصير الواقع في هذا المنقول، لاتصافي بكثرة الجهل والفضول، وقصر باعي عن المعقول والمنقول، فلولا إفراط حبي في الدين ونصيحتي لأولاد المسلمين، لمافهت بكلمة في هذا المقام، ولاتصديت لهذا المرام،

لأني لست من أهل هذا الشأن ولا مـن المحـاولين لـه في الميـدان، وا لله أسـأل أن ينفع به الجم الكثير من مخلوقاته، وأن يجعلنا من القـائمين بواجباتـه، الموفقـين لما أمرنا به من طاعاته، ويعصمنا من الخطأ والزلـل ويوفقنـا في القـول والعمـل، إلى حلول الأجل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم.

بسم ا لله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين

مقدمة

" تلخيص من فنون الآداب، من تعليم من أدبه الكريم الوهاب "

نحمدك اللهم يامن وفقتنا لحمدك، وجعلتنا من أمة خيرة خلقك الذي خصصته لخطابك وأنزلت عليه أفضل كلامك وأدبته بآدابك سيدنا محمد عليه أشرف صلاتك وسلامك، القائل: ﴿أدبني ربي فأحسن تأديبي، وعلمني فأحسن تعليمي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق... إلخ الحديث﴾.

أما بعد، فإليك أيها القارئ الكريم شهدة أتحفك بها، وهدية أمنحك إياها، من أحاديث نقطة الكون ومادته وتأديبه وتعليمه لأمته لتصل إلى مطالعة الكتاب، وأنت سالم من الأمراض مصداقا لقوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده ا لله بها هدى أو يرده عن ردى﴾ أهـ. رواه البهيقي.

وقبل الشروع أقول: اعلم أيها القاريء الكريم أن مكام الأخلاق التي هي نتيجة الآداب يجب السعي في كسبها طيلة عمر الإنسان لأنه في حاجة إليها في كل وقت وأوان وفي كل حال وزمان، وذلك لايحصل إلا بالرياضة وصحبة الأخبار من العلماء العاملين، والأولياء الكاملين، لقولهم: ماوصل من وصل إلا بمحبة من وصل، ولأن النفس مجبولة على حب اللهو والراحة والميل إلى الشهوات والهوى، وأنت مطلوب بردها عن هواها، ومراقبتها في جميع أعمالها، بالجد والإجتهاد فيما خلقت لأجله، مع ملازمة الأدب في ذلك كله، مع رسوله الكريم والكتاب الذي أنزل عليه، وما جاءت به سنته صلى ا لله عليه وسلم مع

سلامة الصدر من الرأي والتكليف لتكون من المؤمنين الكاملين، المحبين لله ورسوله، بشهادة قوله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ الآية وقوله ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ الآية فنفي كمال الإيمان على من بقي في صدره حرج من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته أو سنته بعد نقله من هذه الدار يثبت كمال الإيمان لسالم الصدر عندما يأمره الرسول أو سنته أو ورثته بفعل أو ترك، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن أنس ﴿من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة﴾.

ومن المعلوم أن إحياء السنة هو العمل بما جاء فيها وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني ﴿المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد﴾ وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ﴿المرء مع من أحب﴾ اهـ.

إذا علمت هذا فأعلم أن الأدب هو الرائد الأكبر لتعليم السنة، وأن السنة هي الدعوة الحسنى إلى الرقي الأخلاقي الذي تجري وراءه الإنسانية المهذبة، ولقد أدب النبي صلى الله عليه وسلم أمته بأخلاقه وأقواله فكان المثل الأعلى لجميع الأمة ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾، ثم قامت بذلك المثل الأعلى الخلفاء الراشدون بعده ثم السلف الصالح، ثم العلماء العاملون في كل عصر يجاهدون من أجل مكارم الأخلاق وإحياء البسنة المطهرة، فهم المثل الأعلى في الزهد عن الدنيا وفي غرس مكارم الأخلاق في نفوس الأمة، قائمين نهارهم ساهرين ليلهم في بث الدعوة طالبين مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ﴿سيماهم في وجوههم﴾.

لقد أدبت السنة رجالا وربتهم تربية كاملة صالحة وتلك الخصائص موجودة فيها لأنها من طبيعتها ومن ذاتها، وعليه فالواجب على الطالب ملازمة علماء السنة وكتب السنة وإتباع مذاهب الأئمة المجتهدين ليأخذ من أخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم مايضير به من الرجال الكاملين، ثم الواجب على العالم بذل جهده في نشر الدعوة وبث السنة والأخلاق الكريمة الصالحة وليكون خلفا عن أسلافه، وقدوة ومثلا لأهل جيله شاكرا لأنعم خالقه ومربيه، المتفضل بجوده وإحسانه عليه.

(موقفه صلى ا لله عليه وسلم في مكارم الأخلاق)

اعلم أن موقفه صلى ا لله عليه وسلم في مكارم الأخلاق عظيم لأنه المتمم لها كما روى عنه عليه أفضل الصلوات وأكمل التسليم ﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾ وفي رواية ﴿إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق﴾ وفي أخرى ﴿إنما بعثت لأتمم صلاح الأخلاق﴾ إنه صلى ا لله عليه وسلم لم يبعث لينشر مكارم الأخلاق فحسب بل بعث ليتمم مكارمها لأنها لم تكن قد تمت، ان أول المسلمين لم يكن وجد بعد، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة، كان ينقصها أكمل صفة لمكارم الأخلاق، وهي إسلام الوجه لله إسلاما تاما، قال تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى ا لله وهو محسن، فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ الآية.

فمن تعليماته صلى ا لله عليه وسلم في هذا الموقف قوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿مامن شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وان ا لله يبغض الفاحش البذي﴾ وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث المروي عن السيدة عائشة رضي ا لله عنها ﴿مامن ذنب إلا وله عند ا لله توبة إلا سوء الخلق فإنه لايتوب من ذنب إلا رجع إلى ماهو شر منه﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم

في الحديث الذي رواه الحاكم عن عائشة أيضا مكارم الأخلاق عشرة وهي ﴿صدق الحديث، وصدق البأس، وإعطاء السائل والمكافآت بالصنائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذميم للجار، والتذميم للصاحب، واقراء الضيف، ورأسهن الحياء﴾ اهـ. وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني، عن عمران بن حصين ﴿إن ا لله تعالى إستخلص هذا الدين لنفسه ولايصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق إلا فزينوا دينكم بها﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابو نعيم عن ابن عباس ﴿إن ا لله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها﴾ اهـ. وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيرازي عن أبي هريرة ﴿إن ا لله تعالى يحب السهل الطليق﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني ﴿إن ا لله تعالى لاينظر إلى صوركم ولا إلى احسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن أبي هريرة ﴿أوحى ا لله إلى إبراهيم: ياخليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل الجنة مع الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان أظله في ظل عرشيوان اسكنه حظيرة قدسي وان ادنيه من جواري﴾ اهـ.

(والأخلاق والأعمال لا وزن لهما بدون الإخلاص)

قال ا لله جل جلاله: ﴿وما أمرو إلا ليعبدوا ا لله مخلصين له الدين حنفاء﴾ الآية، فإن العمل غير الخالص لله المشوب بالرياء أو السمعة أو العجب أو غير ذلك من أمراض القلوب لايجدي نفعا، وإنما هو وبال على صاحبه، ومن هديه صلى ا لله عليه وسلم في ذلك ﴿إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء

مانوى فمن كانت هجرته إلى ا لله ورسوله فهجرته إلى ا لله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امراة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه﴾.

(وصيته لأمته بماوصى ا لله به الأولين والآخرين)

قال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود والترميذي ﴿أوصيكم بتقوى ا لله تعالى والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار﴾.

ومن إرشاده إلى الثقة با لله والإعتماد عليه، قوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد عن أبي الدرداء ﴿إن لكل شيء حقيقة ومانفع عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ماأصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه﴾ والحديث الذي رواه الدارقطني عن أنس وهو قوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش فينزل ا لله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له﴾.

(تعليمه الرأفة)

قوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني ﴿إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وأنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه الينها وأرقها﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي رواه عن أبي هريرة ﴿إن ا لله تعالى يقول: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال

يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين، قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا إشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾.

ومن إرشاده في حق الوالدين قوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري ﴿من أرضى والديه فقد أرضى ا لله ومن اسخط والديه فقد اسخط ا لله﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿من أصبح مطيعا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحدا فواحد﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿من بر والديه طوبى له وزاد ا لله في عمره﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الرافعي ﴿مامن رجل ينظر إلى وجه والديه نظر رحمة إلا كتب ا لله له بها حجة مقبوله مبرورة﴾.

(موقفه في زيارة الإخوان والمحبة في ا لله)

قوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني ﴿المتحابون في ا لله على كراسي من ياقوت حول العرش﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن أبي الدنيا عن أنس ﴿أيما عبد زار أخا له في ا لله نودي أن طبت وطابت لك الجنة، ويقول ا لله عز وجل: عبدي زارني عليَ قراه ولن أرضى له بقرى سوى الجنة﴾.

وقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن ابن عمر أيضا ﴿من نظر إلى أخيه نظر ود غفر له﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم في

الحديث الذي رواه الحاكم عن ابن عمر أيضا ﴿نظر الرجل إلى أخيه على شوق خير من إعتكافه سنة في مسجدي هذا﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان ﴿زار رجل أخا له في قرية، فأرصد ا لله له ملكا على مدرجته فقال: أين تريد؟ قال أخا لي في القرية، فقال: هل له عليك من نعمة تربها تحفظها وتراعيها، قال لا، لا إني أحبه في ا لله، فقال إني رسول ا لله إليك بأن ا لله أحبك كما أحببته﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبوداود عن أبي أمامة ﴿من أحب لله، وأبغض لله، ومنع لله، وأعطى لله فقد إستكمل الإيمان﴾.

(إرشاده إلى ما في الحياء من الخير)

قال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن مسعود ﴿استحيوا من ا لله حق الحياء، من استحيا من ا لله حق الحياء فليحفظ الراس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى، ومن اراد الاخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من ا لله حق الحياء﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن ابن عمر ﴿إن الحياء والإيمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الأخر﴾، وقال ﴿الحياء لايأتي إلا بخير﴾، إن الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان، إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ﴿إذا لم تستح فأصنع ماشئت﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن جابر ﴿الحياء زينة، والتقى كرم، وخير المراكب الصبر وإنتظار الفرج من ا لله عبادة﴾.

(إرشاد وتعليم لما في نفع الخلائق من الخير)

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي الدرداء ﴿أبلغوا حاجة من لايستطيع إبلاغ حاجته، فمن أبلغ سلطانا حاجة من لايستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة﴾.

﴿إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس بفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك هم الآمنون من عذاب الله﴾ رواه الطبراني أيضا عن ابن عمر، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿إن لله تعالى قوما اختصهم بالنفع لمنافع العباد ويقرها فيهم مابذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم﴾ رواه ابن أبي الدنيا عن ابن عمر، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن ابن عباس ﴿ما من مسلم كسى مسلما ثوبا إلا كان في حفظ الله تعالى مادام عليه منه خرقة﴾، وقال ﴿من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن حج وإعتمر﴾، وقال ﴿إن العباد عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله﴾، وقال ﴿من اجرى الله على يديه فرجا لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿المعروف باب من أبواب الجنة وهو يدفع مصارع السوء﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة﴾.

(إرشاده صلى الله عليه وسلم إلى الذكر)

قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي سعيد ﴿ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده﴾، وقال صلى الله عليه وسلم

﴿مثل البيت الذي يذكر الله تعالى فيه والبيت الذي لايذكر الله فيه مثل الحي والميت﴾، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الضياء عن أنس ﴿ماجلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم﴾، وقال الله تعالى ﴿أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه﴾ حديث قدسي.

وقال صلى الله عليه وسلم محذرا ﴿ما من قوم يقومون من مجلس لايذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة﴾ رواه أبوداود عن أبي هريرة.

(إرشاده صلى الله عليه وسلم إلى التواضع)

قال صلى الله عليه وسلم ﴿التواضع لايزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله تعالى والعفو لايزيد العبد إلا عزا فأعفوا يعزكم الله تعالى والصدقة لاتزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يزدكم الله﴾ رواه ابن أبي الدنيا.

وقال صلى الله عليه وسلم ﴿تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تتعلمون منه﴾ رواه أبونعيم عن ابن عمر، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿أنظروا إلى من هو أسفل منكم ولاتنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لاتزدروا نعمة الله عليكم﴾ رواه ابن ماجه، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم﴾ رواه أحمد.

(تحذيره من الحسد)

قال صلى الله عليه وسلم ﴿إياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا فهو أصل كل خطيئة﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث﴾ هـ من الجامع الصغير "وفي تنبيه الغافلين" مانصه عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿إن الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب﴾، وقال ﴿ثلاثة لاينجوا منهن أحد الظن والحسد والطيرة﴾، قيل يارسول الله وما ينجي منهن قال ﴿إذا حسدت فلاتبغ وإذا ظننت فلاتحقق وإذا تطيرت فامض أو قال لاترجع﴾ ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم إذا حسدت فلاتبغ يعني إذا كان الحسد في قلبك فلاتظهره ولاتذكر عنه بسوء فإن الله تعالى لايؤاخذك بما في قلبك ما لم تقل باللسان أو تعمل عملا في ذلك.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ألا أن لنعم الله أعداء﴾، قيل من أعداء نعم الله يارسول الله قال ﴿الذين يحسدون الناس على ما ءاتاهم الله من فضله﴾ هـ. قال الفقيه رضي الله عنه ليس شيء من الشر أضر من الحسد لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه أولها غم لاينقطع والثاني مصيبة لايؤجر عليها والثالث مذمة لايحمد عليها والرابع يسخط عليه الرب الخامسة تغلق عليه أبواب التوفيق، هـ. وقال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها قد أبغض كل نعمة قد ظهرت على غيره والثاني سخط لقسمته يعني يقول لربه لم قسمت هكذا والثالث أنه ظن بفضل ربه والرابع خذل ولي الله تعالى لأنه يريد خذلانه وزوال نعمته عنه والخامس أعان عدوه يعني إبليس لعنه الله، ويقال الحاسد لاينال في

المجلس إلا مذمة وذلا ولاينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولاينال في الخلوة إلا جزعا وغما ولاينال عند النزع إلا شدة وهولا ولاينال في الموقف إلا فضيحة ونكالا ولا في النار إلا حرا وإحتراقا وا لله أعلم هـ.

وفي سبل السلام ما نصه قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ﴿إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب﴾ هـ، ويقال كان أول ذنب عصي ا لله به الحسد فإنه أمر إبليس بالسجود لآدم فإمتنع عنه فعصى ا لله فطرده وتولد من طرده كل بلاء وفتنة عليه وعلى العباد، والحسد لايكون إلا على نعمة، إلى أن قال ووجه تحريم الحسد مع ما علم من الأحاديث أنه تسخط لقدر ا لله وحكمته في تفضيل بعض عباده على بعض ولذا قيل ﴿ألا قل لمن ظل لي حاسدا، أتدري على من أسأت الأدب﴾، ﴿أسأت على ا لله في فعله، لأنك لم ترض لي ما وهب﴾، إلى أن قال واعلم أن دواء الحسد الذي يزيله عن القلب معرفة الحاسد إنه لايضر بحسده المحسود في الدين ولا في الدنيا وأنه يعود وبال حسده عليه في الدارين إذ لاتزول نعمة بحسد قط وإلا لم تبق لله نعمة على أحد حتى نعمة الإيمان لأن الكفار يحبون زوالها عن المؤمنين بل المحسود يتمتع بحسنات الحاسد لأنه مظلوم من جهته سيما إذا أطلق لسانه بالإنتقاص والغيبة وهتك الستر وغيرها من أنواع الإيذاء فيلقي ا لله مفلسا من الحسنات محروما من نعمة الآخرة كما حرم من نعمة سلامة الصدر وسكون القلب والإطمئنان في الدنيا، فإذا تأمل العاقل هذا عرف أنه جر لنفسه بالحسد كل غم ونكد في الدنيا والآخرة. هـ.

(في ذم العجب والكبر والفحش)

قال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله تعالى لينظر إلى الكافر ولاينظر إلى المزهي، ولقد حملت سليمان بن داود الريح وهو متكيء فأعجب واختال في نفسه فطرح على الأرض﴾ هـ. رواه الطبراني، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه﴾ هـ. رواه البخاري ومسلم.

(وصفه لأخلاق المؤمنين)

قال صلى الله عليه وسلم ﴿إن من أخلاق المؤمن قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين، وحرصا في علم، وشفقة في مقة[1] وحلما في علم، وقصدا في غنى، وتجملا في فاقة، وتحرجا عن طمع، وكسبا في حلال، وبرا في استقامة، ونشاطا في هدى، ونهيا عن شهوة، ورحمة للمجهود، وان المؤمن من عباد الله لايحيف على من يبغض ولايأثم في من يحب، ولايضيع ما استودع، ولايحسد، ولايطعن، ولايلعن، ويعترف بالحق، وان لم يشهد عليه، ولايتنابز بالألقاب، في الصلاة متخشعا، إلى الزكاة مسارعا، في الزلازل وقورا، في الرخاء شكورا قانعا بالذي له، لايدعي ما ليس له، ولايجمع في الغيظ، ولايغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس كي يعلم، ويناطقهم كي يفهم، وان ظلم وبغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له﴾ هـ.

---

[1] (المقة) الحب أي انه إذا اشفق على ضعيف اقترن بشفقته الاحسان والنفع الذي هو ثمرة الحب لا انه يشفق عليه من دون خير يوصله إليه.

(رواه الحاكم عن جندب)

وهذا اوان الشروع في المقصود ان شاء ا لله قال الناظم رحمة ا لله.

(حمدا لمن قد زين الإنسانا بالعلم والأدب حيث كانا)

(ش) حمدا منصوب على المصدر وعامله محذوف أي أحمده حمدا.

ابتدأ الناظم ارجوزته بالحمد بعد البسملة كغيره من المؤلفين اقتدآء بالكتاب العزيز وعملا بقول النبي صلى ا لله عليه وسلم كل امر ذي بال لايبدأ فيه ببسم ا لله، وفي رواية بالحمد لله فهو أبتر وفي رواية فهو أجذم وفي رواية فهو اقطع فالأبتر مقطوع الذنب والأجذم مقطوع الأنف والأقطع مقطوع اليد أو الرجل والمعنى على كل ناقص البركة وان تم حسا لم يتم معنى.

والكلام على البسملة والحمدلة لاحد له، ولابأس بذكر بعض معاني الحمد تبركا فاقول الحمد لغة هو الوصف بجميل اختياري على جهة التعظيم والتبجيل واصطلاحا فهو فعل ينبني على عظمة المنعم لكونه منعما ومعناه هو الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته مطلقا سواء كان من باب الإحسان أو من باب الكمال ومعنى الشكر هو الثناء بالكلام وغيره على المنعم بسبب إنعامه على الشاكر فتبين من هذا ان بين الحمد والشكر عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في صورة وينفرد كل قسم منها بصورة فالحمد أعم سببا واخص محلا والشكر على العكس من ذلك أي أعم محلا واخص سببا... وإنما قلنا هو الثناء بالكلام على المحمود عوضا عن قولنا باللسان ليشمل المحامد الأربعة أي القديمين والحديثين وأل في الحمد قيل جنسية وهو الاصح وقيل عهدية وهو اختيار بعضهم، واعلم ان حكم الحمد الوجوب على المكلف مرة في العمر كوجوب

كلمة الإخلاص والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جميع الاقوال الواجبة مرة في العمر اشار بعضهم بقوله:

هاك جميع ما من القول يجب ... في العمر مرة وما زاد استحب
بسملة حمدلة والحوقلة ... استغفر الله كذا والهلالة
والحكم في التسبيح والتكبير ... كذا وتعويذ بلا نكير
ثم الصلاة بعدها السلام ... على نبي دينه الإسلام
لوالديك المومنين استغفار ... حيين أو ميتين كما قد ذكرا هـ

وقوله لمن قد زين الإنسانا البيت أي الحمد كائن لله الذي قد زين الإنسان أي فضل الإنسان بالعلم والأدب على أبناء جنسه فلا شيء يفوق به الشخص أبناء جنسه إلا بهاتين الخصلتين، قال الله تعالى ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون، إنما يخشى الله من عباده العلماء، ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، قال صلى الله عليه وسلم ﴿من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿العلماء ورثة الأنبياء﴾.

ومعلوم انه لارتبة فوق رتبة النبوة ولاشرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة، وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، أي لانهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية وبهذا تعلم انه لافرق بين المقامين إلا بالعلم وشتان مابينهما، إذا عرفت شرف العلم وان لازينة يمنحها الله عبده مثله فاعلم انه لايتم إلا بالآداب فقد قالوا نصف العلم الآداب وإلى ذلك أشار شيخنا سيدي محمد عبد الكريم رحمه الله من قصيدة له:

نـصف العـلـوم تـأدب لقـاصـــده لاخـير في طـالـب من تـأدبـــه
فمـن خـلا مـنـه سـآء في تكلمـه لدى الأديب اللبيب في مناطقه هـ

وسيأتي مفصلا على حسب المراتب في محله ان شاء ا لله

قلت وزينة الإنسان ليست مقصـورة على العلـم والأدب فحسـب بـل باشياء متعددة منها مابينه القرطبي لدى تفسيره لقوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسـان في أحسن تقويم﴾، ونص ماقـال وهـو اعتدالـه واستواء شبابه كـذا قـال عامـة المفسرين، وهو أحسن مايكون، لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهـه وخلقـه مستويا وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها، وقـال ابوبكـر بـن طـاهر مزينا بالعقل، مؤديا للأمر، مهديا بالتمييز، معتـدل القامـة، يتنـاول مأكلـه بيـده، ابـن العربي ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن ا لله خلقـه حيـا عالمـا قـادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما، وهذه صفات الرب سبحانه، وعنها عبر بعض العلماء ووقع البيان بقولـه ﴿ان ا لله خلـق آدم علـى صورتـه﴾ يعـني علـى صفاته التي قدمنا ذكرها، وفي رواية على صورة الرحمان ومن اين تكون للرحمـان صفة متشخصة، فلم يبق إلا ان تكون معاني.

وقد أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الازدي قال أخبرنا القاضي أبو القاسم على بن أبي علي القاضي المحسن عن أبيه قـال كـان عيسـى بـن موسـى الهـاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا ان لم تكونـي أحسـن مـن القمر، فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني، وبات بليلـة عظيمـة فلمـا أصبـح غدا إلى المنصور فأخبره الخبر وأظهر للمنصور جزعا عظيما، فاسـتحضر الفقهـاء واستفتاهم، فقال جميع من حضر قد طلقت إلا رجلا واحـدا مـن أصحـاب أبـي

حنيفة فانه كان ساكتا، فقال له المنصور مالك لاتتكلم فقال له الرجل ﴿بسم الله الرحمان الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾

يا أمير المؤمنين الإنسان أحسن الأشياء ولاشيء أحسن منه، فقال المنصور لعيسى بن موسى الأمر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وأرسل أبوجعفر المنصور إلى زوجة الرجل ان أطيعي زوجك ولاتعصيه فما طلقك... فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا وظاهرا، جمال، هيءة، وبديع تركيب، الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه، ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم الأصغر اذكل مافي المخلوقات جمع فيه

(فائدة) ذكر بعض العلماء العاملين ان الله تبارك وتعالى افترض على خلقه فريضتين في آية واحدة والخلق عنها غافلون فقيل له وما هي: فقال قال الجليل جل جلاله ﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ فهذا امر من الله سبحانه لنا بان نتخذه عدوا فقيل له كيف نتخذه عدوا ونتخلص منه فقال اعلم ان الله تعالى جعل لكل مؤمن سبعة حصون فالحصن الأول من ذهب وهو معرفة الله وحوله حصن من فضة وهو الإيمان بالله وحوله حصن من حديد وهو التوكل عليه جل جلاله وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضى وحوله حصن من فخار وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بهما وحوله حصن من زمرد وهو الصدق والإخلاص له تعالى وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو أدب النفس فالمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب، والمؤمن لايبالي به لانه قد تحصن بهذه الحصون فينبغي للمؤمن ان

لايترك أدب النفس في جميع احوله ويتهاون به في كل مايأتي فان من ترك أدب النفس وتهاون به يأتيه الخذلان لتركه حسن الأدب مع ا لله تعالى ولايزال إبليس يعالجه ويطمع فيه حتى يأخذ منه جميع الحصون ويرده إلى الكفر نعوذ با لله إلى أن قال وقد سألت شيخنا اليافعي رحمة ا لله عليه عن الفريضة الثانية أين هي من الآية فأجاب بأن فيها فريضة علمية وفريضة عملية فالأولى العلم بكونه عدوا والثانية العمل في اتخاذ العداوة له، هـ. ثم قال: (ص) ثم صلاة ا لله والتسليم لمن هو المهذب الكريم (ش) لما اثنى على ا لله تبارك وتعالى، الثناء الجميل شرع يشكر الواسطة الذي هو سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم اداء لما وجب، فقال ثم صلاة ا لله البيت، ثم حرف عطف على مهلة وعطف بها لتأخر رتبة المخلوق عن الخالق والصلاة من ا لله الرحمة المقرونة بالتعظيم ومن الملائكة الاستغفار ومن العباد الدعاء والتضرع، والسلام معناه الأمان والمهذب الكريم المقصود به سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم، والمهذب هو المؤدب المتصف بمكارم الأخلاق المنقح والمخلص من العيوب، المربي والملقح للقلوب، قال صلى ا لله عليه وسلم ﴿أدبني ربي فأحسن تأديبي﴾ الحديث ولاشك انه صلى ا لله عليه وسلم احتوى على مكارم الأخلاق وخصال الخير كلها من بر وإحسان وجود وسخاء وتواضع وزهد وورع وحلم وعلم وخشية ورغبة ورهبة إلى غير ذلك، قال صلى ا لله عليه وسلم ﴿أنا أعلمكم با لله واشدكم له خشية﴾ هـ.

(ص) وآلـه وصحبـه ذوي النهـى   من بالكمال بلغوا هام السهى

(ش) الآل في مقام الدعاء كل مؤمن وان كان عاصيا وفي مقام المدح هم اتقياء الأمة لقوله صلى ا لله عليه وسلم (آل محمد كل تقي) وفي مقام الزكاة أقاربه المؤمنون من بني هاشم علي المشهور، والمراد هنا الأول لان الدعاء إذا عم كان إلى الاجابة اقرب والصحب جمع صاحب مثل ركب وراكب وهو كل من

اجتمع به صلى الله عليه وسلم في حياته مؤمنا ومات على ذلك ولو لم تحصل له رؤية كعبد الله بن أم مكتوم الاعمى وقوله ذوي النهي أي العقول الكاملة سمى بها العقل لانه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبائح قال الله تبارك وتعالى ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ فوصف الصحابة رضي الله عنهم بذوي النهي لكونهم اختصهم المولى تبارك وتعالى بعقول وذكاء ومزايا لم توجد في غيرهم ففي الاثر لو وزن إيمان أبي بكر مع الثقلين لرجح وفي حديث آخر لو وزن عقل أبي بكر الصديق بجميع الأمة لرجح بهم أو كما قال.

وقوله من بالكمال إلخ السهى نجم دقيق خفي من بنات نعش الصغرى ومنه المثل المشهور ﴿أريها السهى وتريني القمر﴾، والمعنى ان الصحابة رضوان الله عليهم بلغوا بكمال إيمانهم وإخلاصهم في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرفعة في الدين ما بلغ نجم السهى في العلو والدقة بحيث لايبلغ أحد مرتبتهم ومن أدعى ان أحدا يبلغ مرتبتهم ولو بلغ ما بلغ فاضرب له المثال بقولك اريه السهى ويريني القمر، ومن هذا القبيل قول القائل وهو القاضي عياض رحمه الله.

ومما زادني طربا وتيها	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك ياعبادي	وان صيرت أحمد لي نبيا. هـ

قال سيدنا علي كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، وذلك لانه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والإيمان وصدق الرسل فيما جاؤوا به مالا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لايشك ان عين اليقين أقوى من علم اليقين وأن حق اليقين أقوى من عين اليقين (ودليله) أو لم تؤمن

قال بلى ولكن ليطئن قلبي فأثبت لنفسه حقيقة الإيمان ويقينه وطلب زيادة الطمأنينة برؤية العيان فلا منافات فيه لما قاله علي كرم ا لله وجهه خلافا لمن وهم فيه، وقال صلى ا لله عليه وسلم ﴿لو انفق أحدكم مثل أحد ما بلغ مدَ أحدهم ولانصيفه﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم ﴿ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم﴾ إلى غير ذلك مما ورد في فضلهم رضي ا لله عنهم وارضاهم ونفعنا بهم آمين.

(ص) وبعد فالتهذيب للأولاد سعادة للشعب والبلاد

(ش) الواو نائبه عن اما واما نائبة عن مهما وبعد من الظروف المبنية على الضم لقطعه عن الإضافة أي وبعد ما تقدم من الثناء على ا لله تبارك وتعالى والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم، فلمقصود من هذه الارجوزة تعليم الآداب للأولاد، وفي هذا البيت براعة الاستهلال والتهذيب، هو التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساويها وذلك عين الأدب، وقد قال لي بعض الفضلاء الاعلام إذا دخلت قرية فانظر إلى أولادها فان رأيت مستقبلهم حسنا وتربيتهم حسنة لايفارقون المكاتب والمدارس فاعلم وحقق ان مآل تلك القرية إلى الخير وإلا فمآلها إلى الضير واجعل هذا ميزانا لايفارقك مهما دخلت قرية أو مدينة أو قطرا فانه يغنيك عن النظر فيما يؤول إليه امرها والسلام، إذا تمهد هذا فسعادة الشعب والبلاد هو تهذيب الأولاد.

قال المصنف:

(ص) والولد المهذب المؤدب هو الذي للخير دوما يكسب
يستوجب الاعزاز والتكريما ويستحق في الورى التعظيما

(ش) اخبر رضي ا لله عنه بان الولد المهذب المؤدب هو الذي له مقدورة على كسب الخير، والمهذب في اللغة المطهر الأخلاق المخلص النقي من العيوب، كلام مهذب او شعر مهذب مخلص مما يعيبه في نظر الفصحاء، هـ. منجد والخير مايمدح عليه فاعله شرعا عكس الشر واعظم وجوه البر لاتدرك إلا بالاكتساب فإذا اخذ الولد المفتاح الذي هو الأدب قدر على فتح كل علم احتاج إليه وذلك لان الأدب يجذب قلوب الاشياخ واهل الفضل وبمحبتهم ينال الخير في الدنيا والآخرة، فحينئذ يستوجب الاعزاز والتكريما ويستحق في الورى أي الخلق التعظيما لما ناله من العلم وصحبة اهل الفضل، قال صلى ا لله عليه وسلم ﴿لان يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع﴾.

قلت والأدب يطلق على ثلاثة إطلاقات كما في شرح السراج، الأول ماطبع عليه الإنسان في جبلته ويسمى طبيعيا، والثاني مايكتسبه المرء بالحفظ والتذكار ويسمى كسبيا وهذا مولد حدث في الإسلام كما قاله الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي، والثالث ماحفظ الانفاس ويسمى صوفيا، مثال الأول كالكرم والجود وحسن الخلق والشجاعة وتعظيم أهل الخير والعلم، ومثال الثاني كالنحو واللغة والشعر والأخبار وغيرها من العلوم المجموعة في قول بعضهم:

"صرف بيان معاني النحو قافية ... شعر عروض اشتقاق الخط انشاء"
"محاضرات وثاني عشرها لغة ... تلك العلوم لها الآداب اسماء"

وقد يطلق الأدب في العرف ويراد به هذا القسم، وقد يطلق على الشعر فقط، ومثال الثالث كالمراقبة لله وطاعته بإجتناب نواهيه وإمتثال أوامره فيعرف بانه الاخذ بمكارم الأخلاق أو يقال هو إستعمال مايحمد قولا وفعلا أو يقال هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك أو يقال هو الوقوف مع المستحسنات، وزاد بعضهم قسما رابعا سماه شرعيا، ومثاله "آداب الطعام والشراب والسفر والنوم واليقظة" حسبما هو مقرر في علم الفقه، وقال ابن ليون الآداب اربعة، أدب لسان، وأدب جنان، وأدب زمان، وأدب إيمان، فأدب اللسان الفصاحة والبلاغة وذكر مايصدر عن أربابهما، وأدب الجنان الانقياد والسهولة وايثار التدبير بهما، وأدب الزمان سيرة كبراء أهله في مخاطباتهم وتصرفاتهم وحفظ أخبارهم، وأدب الإيمان ماجاء به الشرع من المحاسن المكملة في الأخلاق والأقوال والأفعال.

ثم قال رضي الله عنه:

(ص) والولد الخالي من الأدب ... يعدّ في جماعة الدواب
ولايزال سيء المعاشي ... يذكر في الناس مع الأوباش

يعيش طول عمره في النكد بين خصام زوجة وولد

(ش) اخبر رضي الله عنه بأن الولد الخالي من الأدب لافرق بينه وبين الدواب، إذ لافرق بين الحيوانات إلا بالعلم والأدب لأن الإنسان غير المتعلم يقال له حيوان ناطق وغيره من الحيوانات حيوان غير ناطق ولذا قال المصنف يعد في جماعة الدواب لانه لم يبلغ مقام الإنسانية فترى الإنسان الذي لا أدب له ولا علم عنده كالبهيمة تكرهه النفوس وتمج كلامه الاسماع وتفر منه الطباع فلا ينال من العلماء ولا أهل الفضل لا قليلا ولا كثيرا هذا وقد قالوا انه ماوصل من وصل إلا بمحبة من وصل فإذا لم يكن عنده أدب يتوصل به إلى العلم يبقى جاهلا سيء الخلق خشن الطبع بذيء اللسان نزلت به الاوصاف الذميمة إلى حد البهيمية لايميز بين صالح وطالح ولا بين انسان وبهيمة فتراه كالوحش الضاري لايحسن الأدب مع الله ولامع الأشياخ ولامع أهل الفضل ولامع الأهل والأولاد ولامع العشيرة فمن هذا حاله يصدق عليه قول المصنف ولايزال سيء المعاشي البيتين:

قلت وذلك لأن النفس الامارة استولت عليه حتى نزلت به إلى حضيض البهائم، ففي كتاب حياة القلوب مانصه، وأما النفس فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، نفس امارة، ونفس لوامة، ونفس مطمئنة، والعداوة بينك وبين الامارة وهي التي تطيع الشيطان ويستولي عليها القوى الحيوانية وتتبع شهواتها وهواها، قال تعالى ﴿إن النفس لامارة بالسوء﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿اعدى عدولك نفسك التي بين جنبيك﴾، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال يارسول الله أي الجهاد أفضل قال جهاد المرء نفسه، ومجاهدة النفس أمر بمعروف ونهي عن منكر، وأما اللوامة أو المطمئنة فسيأتي ذكرهما، وأعلم أن

النفس في اصطلاح الصوفية تطلق ويراد بها القوى الحيوانية الجامعة للصفات المذمومة المضادة للقوى العقلية وإليه اشار بقوله صلى الله وعليه وسلم ﴿اعدى عدولك نفسك التي بين جنبيك﴾، وهي التي أمر الشرع بمجاهدتها، وتطلق أيضا ويراد بها عندهم حقيقة الإنسان وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت ومن عالم الغيب ومن عالم الأمر، نعم تختلف اسماؤها بختلاف احوالها العارضة عليها فان اتجهت إلى جهة الصواب ونزلت عليها السكينة الإلهية تواترت عليها نفحات الجود والخير من قبل الله واطمانت إلى معرفة الله تعالى وطاعته وهي النفس الطمئنة قال الله تعالى ﴿يا أيتها النفس الطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي﴾، وإن كانت مع قواها وجنودها في تشاجر ومحاربة وقتال وكان الحرب بينهما سجالا تارة لها اليد على القوى وتارة للقوى اليد عليها ولايكون حالها مستقيما فتارة تنزع إلى جناب الحق فتقبل اوامر الله تعالى ونواهيه وتخاف سطوته وتستحي من جوده واحسانه وجلاله وعظمته وتثبت على الطاعات، وتارة يستولى عليها القوى فتهبط إلى حضيض منازل البهائم وهذه هي النفس اللوامة وهي حالة كثير من الخلق، وقد تقدم ان التي تطيع الشيطان وتستولى عليها القوى الحيوانية وتتبع شهواتها وهواها هي النفس الامارة بالسوء وصاحب هذه النفس هو شيطان الانس وهذه حالة اكثر الخلق فكلهم إذا فكرت فيهم حمير وكلاب وذيئاب وقد اشار القرآن العظيم والذكر الحكيم إلى هذه المراتب الثلاثة بقوله ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ فنفس الظالم هي النفس الامارة بالسوء، ونفس المقتصد هي النفس اللوامة، ونفس السابق بالخيرات هي النفس المطمئنة.

ومن الآداب التي نقلت عن الشعراء فيما ينبغي التخلق به في الزمان الحاضر، نص ماقالـوا:

قال عبد المحسن الصوري:

انسـت بـوحـدتـي حـتى لـوانـــي رايئت الانـس لا استوحشت منه

وقال محمد بن رجاء:

ولـما رائـت الـخير قـد قـل أهـلـه ولـم يـبـق الانـاقــص وخسيـس

تـفـردت بـالآداب حتى الـفـتـهـا ومالـــي سـوى أخـبـارهـن أنيـس

وما الـخـير إلا الـتـفـرد لـلـفـتـــى وما الشـر إلا صاحب وجـلـيـس

وقال أبوحامد الغزالي:

مافـي اخـتــلاط الـنـــاس خير ولا ذو الـجـهـل بالأشـيـاء كالـعالـم

يـالائمي في تـركـهـم جـاهـــلا عـذرى مكـتـوب على خـاتـمي

وكان مكتوبا على خاتمه (ومـا وجدنـا لاكـثرهم مـن عهـدوان وجدنـا اكـثرهم لفاسقين) اهـ.

وقال القاضي أبوبكر بن عطية:

بلوت فلم أحمد فأصبحت ايسا ولاشيء اشـفى للنفـوس من اليـأس

جفوت أناسا الف قلبي وصلهم وما بالـجـفـا عند الـضرورة من بـأس

فـلاتعذلوني في انقبـاض فانـي رائيـت جـميع الشرفي خـلطـة الناس اهـ

وقال بعضهم:

خـلطـة الـنـاس فـســاد ونكـــاد مـــا أرى الـخـلطة خير لاحـــد

إنـمـا الـنـاس كـشـوك نـابــت كيف ينجوا من على الشوك رقـد

وقال آخـــر:

لاتــركـنـــن إلـــى بـشـــر ان شـيـئـت تـأمــن كل شـر

لـــم يبـــق إلا شــــامــت اومـــن يضـــر إذا قـــدر

وقال آخـــر:

عـــفـــى ا لله هذا الـــزمـــان فإنه زمـــان عـقـوق لازمان حقـوق

وكـــل رفيـــق فيه غـــير مـــوافـــق وكـــل صديـــق فيه غير صديـــق

(ص) وهـــذه أرجـــوزة سنيـــة حـــررتـــهـا في صـــورة الـهديـــة

سـميتـهـا هـديـــة الألبــــاب في جـواهـــر الأدب ياهـذا الـــوفـــي

قـدمـتها حـبـــا لأبـنـــاء الـوطـــن تسعد منهم من إلى الخير سكن

(ش) اخبر ان هذه الاجوزة أي التي هي من بحر الرجز الذي هو مسدس الاجـزاء ووزنه مستفعلن مســتفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن، سنية أي مضيئة منيرة تهدي بنورها من حاد عن طريق الأدب اهداها رضي ا لله عنه لأبناء الوطن وسماها هدية الألباب في جواهر الأدب، الألباب جمع لب واللب الخالص مـن كـل شـيء وسمـي بـه العقـل ومنـه قولـه تعـالى ﴿ان في ذلـك لذكـر لأولى الألباب﴾، ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ هـ. والجواهر جمع جوهرة والمعنى ان هذه الاجوزة جمع فيها المؤلف جواهر الأدب أي نفائسه وأهداها من خالص لبـه لأبناء المسلمين واخبر انه يسعد بها من سكن أي مال واطمأن إلى الخير أي مـن حفظها واعتنى بها وبفهم معانيها وعمل بمقتضاهـا نـال السـعادة بحصول العلـم حيث ملك المفتاح الذي هو الأدب.

(ص) لاسيـمـا كـل فتـى اقـام في مـدارس العلـم لنيـل الشـرف

فـهـــو الاحـــق بـمـراعـــاة الأدب وكسبـــه يسمو بـه اعلى الـرتب

وفي المصباح ولاسيما، مشدد ويجوز تخفيفـه وفتـح السـين مـع التثقيل، لغة، قال ابن جنى يجوز ان تكون مازائدة في قوله (ولاسيما يـوم بـدارة جلجـل)

فيكون يوم مجرورا بها على الاضافـة ويجوزان تكـون بمعنـى الـذى فيكـون يـوم مرفوعا لانه خبرمبندا محذوف ونقديره ولامثل اليوم الذى هو يوم بدارة جلجـل، وقال قوم يجوز النصب على الاستثناء وليس بالجيد قـالوا ولا يسـتعمل الا بمعنـى الجحد، ونص عليه ابوجعفر احمد بن محمد النحوى فى شـرح المعلقـات ولفظـه، ولا يجوز ان تقول جاءنى القوم سيما زيد حتى تأتي بلا لانه كالاسـتثناء، وقـال ابن يعيش ايضا ولايستثنى بسيما الا ومعها جحد، وفى البـارع مثـل ذلـك قـال وهو منصوب بالنفى ونقل السخاوى عن ثعلب من قاله بغير لفظ الذى جا، بـه امرو، القيس فقـد اخطأ يعنـى يغـيرلا ووجـه ذلـك ان لاوسيما تركبـا وصـارا كالكلمة الواحدة، وتساق لترجيح مابعدها على ماقبلهـا فيكـون كـالمخرج عـن مساواته الى التفصيل، فقلهم (تستحب الصدقة فـى شـهر رمضـان لاسيما فـى العشر الاواخر) معناه واستحبا بها فى العشر الاواخر ،اكد وافضل فهو مفضـل على ما قبله ، وقال ابـن فـارس ، (ولاسيما) أي ولامثـل مـا كـانهم يريـدون تعظيمه وقال ابن الحاجب ولا يستثنى بهـا الا مـايراد تعظيمـه، وقـال السـخوى ايضا وفيه ايذان بان له فضيلة ليست لغيره اذا تقرر ذلك فلوقيل سيما بغـير نفـى اقتضى التسوية وبقى المعنى على التشبيه فيبقى التقدير تستحب الصدقة فى شـهر رمضان مثل استحبابها فى العشر الاواخر ولا يخفى مافيه، وتقديـر قـول امـرى، القيس، مضى لنا ايام طيبة، ليس فيها مثل يوم دارة جلجل، فانه اطيب من غـيره وافضل من سائر الايام، ولوحذفت لابقى المعنى، مضت لنا ايام طيبة، مثـل يـوم دارة جلجل، فلايبقى فيه مدح وتعظيم، وقد قالوا لا يجوز حذف العـامل وابقـاء عمله الاشاذ اويقال (اجـاب القـوم لاسـيما زيـد) والمعنـى فانـه احسـن اجابـة فالتفضيل انما حصل من التركيب، فصارت لاسيما بمنزلتها في قولـك لارجـل في

الدار، في المفيدة وربما حذفت للعلم بها وهي مرادة لكنه قليل، ويقرب منه قول ابن السراج وابن بابشاذ وبعضهم يستثنى بسيما.

(ش) لما خبر أن هديته هذه تسعد من أبناء الوطن من عمل بمقتضاها عموما خصص طلبة العلم لان الأدب هو نصف العلم كما تقدم وقد علمت ان اعظم الآداب آداب النفس فينبغي لطالب العلم ان يحافظ على طهارة النفس من الرذائل لينال أعلى المفاخر ففي أحياء علوم الدين للإمام الغزالي رضي ا الله عنه مانصه اعلم أيها الطالب هداك ا الله انه يجب أولا على المتعلم طهارة النفس من رذائل الأخلاق إذا العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى ا الله تعالى وكما لاتصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لاتصح عبادة الباطن وعمارة القلب إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق، قال صلى ا الله عليه وسلم ﴿بني الدين على النظافة﴾، وهو كذلك باطنا وظاهرا قال ا الله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾، (تنبيه للعقول) على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر ولذلك قال صلى ا الله عليه وسلم ﴿لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة والقلب بيت وهو منزل الملائكة والصفات الردئية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فلن تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لايقذفه ا الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة، ﴿وما كان لبشر ان يكلمه ا الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء﴾ الاية، هـ.ببعض اختصار وفي نصيحة سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي مانصه:

واعـلـم بـان كــدر الـذنـــــوب يكسـف نـور العلم في القـلـوب

الاتــرى الـذبــال في الـمصبـــاح إذا صـفـا ارضــاك في اصـطبــاح

وان يكن بـوسـخ مـلـطـخـــــا كـسـف نـوره لـذلك الـلطخـا

إلى ان قال ولاتظن البرءمن ادواك إلا بـفطـم الـنـفـس عن هــواك

ولبعضهم: شكوت إلى وكيعي سوء حفظي فارشدنـــي إلى تـرك الـمـعـاصي

واخـبرنـي بــأن العـلـم نـــــور ونــور الله لايـهـدى لـعــاصي.

وهو كذلك: قال الله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكـم الله﴾ الآيـة وقولـه صلى الله عليه وسلم ﴿من عمل بمـا علـم ورثـه الله مـا لم يعلـم﴾ إذا تمهـد هـذا فكسب الآداب هو الذي يرتقي به الطالب أعلى الرتب كما قال وكسبه يســمو به أعلى الرتب.

(ص) فـأســأل الله الـثـواب الحسنا وان يـعـم الـنـفـع منها الـوطـنـا

(ش) طلب المصنف من الله تبارك وتعالى ان يثيبه ثوابا حسنا بان يتقبـل أعمالـه ويجازيه عليها جزاء حسنا والثواب الحسن هو الجنة وما من النعيـم المقيـم جعلنـا الله وإياه ممن قال في حقهم ﴿فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ إلى حسن الثواب، وقوله وان يعم النفع منها الوطن طلب من الله تبارك وتعالى عموم النفع بارجوزته هـذه تقبـل الله منـا ومنـه وفسـح لـه في جنته آمين ومما يدلنا على قبول دعائه اقبال الناس عليها وقراءتها في المدارس، ثـم قال رحمه الله:

(ص) الـواجبـات الديـنيــة والكـمــالات الإنـسانيـــة

(ش) أي هذا باب الواجبات الدينية والكمالات الإنسانية أي مايصير به الإنسان كاملا وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ولكن البر مـن آمـن بـا لله واليـوم الآخـر

والملائكة والكتاب والنبيئين﴾ إلى المتقون ففي روح البيان مانصه والآية جامعة للكمالات الإنسانية باسرها دالة عليها صريحا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء، صحة الإعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس، وقد أشير إلى الأول بقوله من آمن با لله إلى النبيئين، وإلى الثاني بقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى إلى وفي الرقاب، وإلى الثالثة بقوله وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا إلى إيمانه وإعتقاده وبالتقوى إعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه يشير قوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿من عمل بهذه الآية فقد إستكمل الإيمان﴾، قال شيخنا العلامة أبقاه ا لله بالسلامة قيل لي في قلبي أحسن اخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضى، وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء إنتهى كلامه.

وحب المال من اغلب اخلاق النفس وكذلك العجلة من الاخلاق الرديئة ولذلك قيل ان الصبر أفضل من الشكر وفي الخبر يوتي باشكر أهل الأرض ليجازه ا لله جزاء الشاكرين ويوتي بالصابر فيقول ا لله هذا أنعمت عليه فشكر وبتلبيتك فصبرت لأضعن لك الأجر فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين، والتحقيق أن تهذيب النفس إنما يكون بالتوحيد بطريقه المخصوص كما أن أصل الإيمان إنما يحصل بالتوحيد والشهادة، وإلى ذلك يشير الناظم يقوله:

فاول الكمال للأولاد	معرفة المولى العظيم الهادي
وصحة الإيمان والاقرار	بكل ماصح عن المختار

(ش) اخبر ان أول مايجب على الأولاد معرفة المولى أي ا لله تبارك وتعالى العظيم القدر الذي يصغر كل شيء عند ذكر عظمته الهادي إلى الصراط المستقيم، أي معرفة مايجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز بالأدلة والبراهين إذ المعرفة

الأمر المطابق عن دليل وكذا مايجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل ومايجوز فبتمام المعرفة يصح الإيمان الذي هو التصديق ويثبت الاقرار لله بالوحدانية ولرسوله عليهم الصلاة والسلام بالرسالة وقوله بكل ماصح عن المختار هو عين الأدلة والبراهين، قال الشيخ سيدي عبد الواحد بن عاشر.

أول واجب على من كلفا ممكنا من نظر ان يعرفا
ا لله والرسل بالصفات مما عليها نصب الآيات

وقال الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري أول مايجب على المكلف تصحيح إيمانه إلخ، ثم قال رضي ا لله عنه:

(ص) ثم اداء واجب العبادة فإنها علامة السعادة
مثل الصلاة فهي ركن الدين فلا يمل عن هديها المبين

(ش) أي ثم بعد معرفة عقائد الإيمان يجب العلم بمعرفة ماتؤدي به العبادة البدنية فانها علامة السعادة أي فان الإعتناء بمعرفة فروع الفقه والعمل بها هو عين السعادة قال صاحب الرسالة الشيخ سيدي محمد بن أبي زيد وقد مثلت لك من ذلك ماينتفعون ان شاء ا لله بحفظه ويشرفون بعلمه ويسعدون باعتقاده والعمل به، وفي صحيح البخاري أن النبي صلى ا لله عليه وسلم كان معه بعض الصحابة في بقيع الغرقد وبيده عود ينكت به الأرض فقال: ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة أو النار، فقالوا أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا فمن كان منا من أهل الجنة صار إليها ومن كان من أهل النار صار إليها، قال لا اعلموا (فسيرى ا لله عملكم ورسوله)، ثم تلا ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ الآية، ثم مثل للعبادة بقوله مثل الصلاة البيت قال صلى ا لله عليه

وسلم ﴿الصلاة عماد الدين فمن قامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين﴾، فعلى ولي الأطفال ان يعلمهم مافرض ا لله عليهم ويهذبهم قبل بلوغهم ليحافظوا على الصلاة في أوقاتها وسائر العبادات لانهم إذا اعتادوا ذلك وهم صغار رطب سهل عليهم بعد بلوغهم كما قال الشيخ أبومحمد عبد ا لله سيدي محمد بن أبي زيد فكذلك ينبغي ان يعلموا مافرض ا لله على العباد من قول وعمل قبل بلوغهم ليأتي عليهم البلوغ وقد تمكن ذلك من قلوبهم وسكنت إليه انفسهم وانست بما يعملون به من ذلك جوارحهم بخلاف مالو تركوا حتى بلغوا وخشن طبعهم فان الحيلة تعظم حينئذ في تعليمهم، قال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

ان الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

وقال آخر:

العلم في صغر كالنقش في حجر ... كفضة مزجت في خلطها الذهب

والعلم في كبر كالنقش في مدر ... لكن تغيره الازمان والحقب. هـ

وهذا يشير إلى الحديث الذي رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف مرفوعا مانصه (مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر ومثل الذي يتعلم في الكبر كالذي يكتب على الماء)، وانشد نفطويه اراني أنسى ماتعلمت في الكبر، ولست بناسي ماتعلمت في الصغر.

وما العلم إلا بالتعلم في الصبا ... وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر

فلو فلق القلب المعلم في الصبا ... لالفى فيه العلم كالنقش في الحجر

وما العلم بعد الشيب الا تعسف ... إذا كل قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق ... فمن فاته هذا وهذا فقد دمر

قلت وذلك لان القلب أولا صافيا كالمرأة يقبل كل مايرد عليه من خير أو شر فايهما سبق تمكن واستحكم فإذا سبق إليه الخير واستولى عليه انقادت الجوارح للعبادة رغما وإذا سبق إليه الشر والعياذ با لله انقادت الجوارح إلى المعاصي الظاهرة والباطنة فتعظم الحيلة في زوالها كالاناء الجديد يجعل فيه القطران فلا يزول إلا بعد تعب ومشقة ويشهد لما قلت، حديث (مضغة في الجسد إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كّله ألا وهي القلب)، فعلى أولياء الأولاد ان يلزموهم المكاتب والمدارس ولايتركونهم سبهللا فقد قيل لاتفرغ قلبك من ذكر ولا ولدك من شغل فان القلب الفارغ واليد الفارغة قريبان من الشر، قال صلى ا لله عليه وسلم ﴿ما من مولود الا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه﴾ الحديث، وبهذا تعلم ان مسؤولية الأولاد في حال صغرهم راجعة لأوليائهم ففي تنبيه الغافلين في باب حق الأولاد على الوالد مانصه عن أبي هريرة رضي ا لله عنه أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال ﴿من حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء ان يحسن اسمه إذا ولد ويعلمه الكتاب إذا عقل ويزوجه إذا ادرك﴾ انتهى، وفيه أيضا قال الفقيه رحمه ا لله سمعت أبي يحكي عن أبي حفص البكندي وكان من علماء سمرقند انه أتاه رجل فقال ان ابني ضربني وأوجعني، فقال سبحان ا لله الإبن يضرب أباه، قال نعم ضربني وأوجعني، فقال هل علمته الأدب، قال لا، قال فهل علمته القرآن، قال لا، قال فاي عمل يعمل، قال الزراعة، قال هل علمت لاي شيء ضربك، قال لا، قال فلعله حين اصبح وتوجه إلى الزراعة وهو راكب الحمار والثيران من بين يديه والكلب من خلفه وهو لايحسن القرآن فتغنى وتعرضت له في ذلك الوقت فظن انك بقرة فاحمد ا لله حيث لم ينكسر رأسك، إذا تمهد هذا فتعليم الأطفال وتأديبهم من حقوقهم على والديهم، ثم قال:

(ص) كـذا بـقيـة الـعبـــادة التي   اثبـتـهـا في الشـرع خـير مثيـب

(ش) أي فكما يجب تعليم التوحيد والصلاة يجب تعليم احكام بقية القواعد مثل الزكاة والصيام والحج وسائر انواع العبادات الظاهرة والباطنة واحكام المعاملات إلا أنه يجب تقديم الاهم فالاهم كما قال الشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي رضي الله عنه في نصيحته:

وقـدم الاهـم ان الـعـلـم جـــم   والعمـر ضيـف زار أو طيـف الم

اهـمـــه عـقــائـد ثـم فـــروع   تصـوف وألــة بها الشـروع إلخ

(ص) فكل من قد حسنت عبادته   من دون شك كملت سعادته

وكـل من فـــرط في الاطـاعـة   لـربـنـا لا تـرتـجـي انـتـفـاعـه

(ش) أي من عبد الله واخلص في عبادته كما أمر جل جلاله قال تعالى وهو اصدق القائلين ﴿وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ الآية، إذا الاخلاص هو: الإحسان وهو ان تراقب الله في كل أحوالك كانك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك، ومن كان بهذه المثابة قمن بالسعادة كما قال من دون شك كملت سعادته قال الله عز وجل ﴿ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾ الآية، وفي الحكم العطائية (الأعمال صور) قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص فيها وفيها أيضا (حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الانزال)، أما من فرط في الطاعة وتمنى على الله الاماني فلا يرجى له نفع لانه أخطأ طريق النفع التي هي الرجاء المقرون بالعمل واخذ طريق الطمع المذموم الذي هو أصل كل معصية ففي الحكم (الرجاء ماقارنه عمل والافأمنية) وفي التنزيل ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾، ﴿ان الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل

ا لله أولئك يرجون رحمة ا لله﴾، ﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾، ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين عم بآياتنا يؤمنون﴾ الآية، ﴿من يطع الرسول فقد اطاع ا لله قل ان كنتم تحبون ا لله فاتبعوني يحببكم ا لله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ الآية، وطاعة الرسول واتباعه العمل بسنته، وقد ذم سبحانه قوما عولوا على محض تشوف الثواب والفتح ظنا منهم ان ذلك هو الرجاء المامور به فسماهم خلفا والخلف الرديء من الناس فقال ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا﴾ الآية، ثم قال رضي ا لله عنه:

(ص) ثم عليهم ذمة ودينا ... ان يصبح العرض لهم مصونا
ويهجروا صحبة كل فاسق ... فانها من اقبح الطرائق

(ش) أي يجب على الغلمان ذمة ودينا ان يصونوا اعراضهم عما يدنسها من قبائح الفعال وسفاسف الامور مثل البطالة واللهو والباطل والسخرية والكذب والغيبة والنميمة وقول الزور والمواقف في مواطن التهم وجميع الأفعال التي تخل بالمروءة وان يهجروا صحبة الفساق فان الطبع اسرع سرقة من الطبع ولان الإنسان يوزن برفيقه ومعاشرة قال صلى ا لله عليه وسلم ﴿المرء مع من أحب﴾، فمن أحب قوما ألحق بهم وان لم يعمل بعملهم، وقال الشاعر:

عليك بأرباب الصدور فمن غدا ... مضافا لأرباب الصدور تصدرا
وإياك أن ترضى بصحبة ساقط ... فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

ورحم ا لله شيخنا سيدي محمد عبد الكريم إذ قال من قصيدة له:

ومن يجالس عطيرا فاح من طيبه ... واسود من جالس الحداد في بيته إلخ

وهذا يشير إلى حديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لايعدمك من صاحب المسك اما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة﴾ هـ. من صحيح البخاري.

وفيه النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا كما في القسطلاني، هـ. ولبعضهم:

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فان كأن ذا شر فجنبه سرعة وان كان ذا خير فقارنه تهتدي

والاخر:

لاتصحب الكسلان في حالته كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

وغيره:

ان كنت تبغي العلم من أهله أو شاهدا يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وقد أوصى أبوإسحاق ابراهيم بن الحاج دفين مراكش ابنه أيام إقانته بإشبيلة لتحصيل العلم بقوله:

إذا شيئت ان تحظى بوصلى وقربتي فجنب قرين السوء واصرم حباله

وسابق إلى الخيرات واسلك سبيلها وحصل علوم الدين واعرف رجاله

ولبعضهم من قصيدة طويلة محتوية على حكم جليلة:

ولاتجالس جليس السوء منخلطا فكم جليس له طبع الجليس سرى

وقال سيدنا علي رضي الله عنه من قصيدة اشتهرت نسبتها له:

واجعل جليسك سيدا تحظى به ... حبر لبيب عاقل متأدب
واختر صديقك واصطفيه تفاخرا ... ان القرين إلى المقارين ينسب
واحذر مؤاخاة الدنيء لانها ... تعدي كما يعدي السليم الاجرب اهـ

وقال بعضهم معتذرا بما لايقبل:

قالت أراك مع الانزال تصاحبهم ... ومن يصاحبهمو في دهره يهن
لايصحب المرء إلا من يشاكله ... متى رأيت الظبا والاسد في قرن
اجبتها مظهرا عذري ومنشدها ... بيتا به تضرب الامثال في الزمن
يقضي على المرء في اسيام محنته ... حتى يرى حسنا ماليس بالحسن. اهـ

وقال آخر:

صاحب ذوي الفضل تسعد من كرامتهم ... واخدمهمو صادقا واصدقهمو خبرا
كم صحبة طوقت من يمنها درارا ... وصحبة الحقت من شؤمها ضررا
وشاهدى كلب أهل الكهف مع ضعة ... من أجل صحبتهم في الوحي قد ذكرا.اهـ

وقال الغزالي رحمه الله في كتابه "بداية الهداية"، فإذا طلبت رفيقا ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في ابصر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال، الأولى العقل فلاخير في صحبة الاحمق فالي الوحشة والقطيعة يرجع اخرها، واحسن احواله انه يضرك وهو يريد ان ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق، قال سيدنا علي رضي الله تعالى عنه: (ولاتصحب اخا الجهل، وإياك واياه، فكم من جاهل ادرى، حليما حين واخاه، يقاس بالمرء، إذا ما المرء ماشاه، كحذ والنعل بالنعل، إذما النعل حاذاه، وللشيء من الشيء، مقاييس وأشباه، وللقلب على القلب، دليل حين بلقاه. اهـ.

الثانية حسن الخلق فلاتصحب من ساء خلقه وهو الذي لايملك نفسه عند الغضب والشهوة.

الثالثة الصلاح فلاتصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة لان من لايخاف الله لاتؤمن غوائله، بل يتغير بتغير الاعراض والاحوال، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا﴾.

الرابعة لاتصحب حريصا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء به، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدري فمجالسة الحريص تزيد في حرصك ومجالسة الزاهد تزيد في زهدك.

الخامسة الصدق فلاتصحب كذابا فإنك منه على غرر فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب. اهـ بإختصار اهـ.

هذا وقد شاهدنا بعض الاطفال كريم السجيه شديد الحياء محافظا على قراءته وطاعة والديه وأستاذه وبمعاشرته للفساق انسلخ من ذلك كله حتى ارتكب أفعال المجانين وسول له الشيطان ان الحالة التي كان عليها هي الضلال البعيد والفعل الغير الحميد، أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا، موعظة مثل الجليس مع الفساق كمثل من له مصباح دخل به بيتا مظلما فجعل يستضيء به مع من في البيت حتى إذا تم زيته إنطفأ وليس عنده زيت آخر ولا عند أهل البيت ولا ممدلة يمده به فيبقى حائرا فكذلك نور الإيمان إذا دنسه بالمعاصي و لم يمده بالاعمال الصالحة انطفأ لان الإيمان يزيد بزيادة الاعمال وينقص بنقصها، ثم قال:

(ص) والعرض للمرء إذا مادنسا	فليس من بين الأنام ينتسي
بل دائما إلى بلوغ الشيب	يعيبه الناس بذاك العيب

(ش) أي أن العرض إذا دنس بالمعاصي وبما يخل بالمروءة فليس ينتسي ذلك الفعل القبيح بين الانام أي الخلق بل يعاب بذلك العيب دائما إلى ان يشيب فاياك ثم اياك أيها الشاب أن تتخذ الهك هـواك وتضيع أيـام شبابك في البطالة وتدنس عرضك بالمعصية فان ذلك يصير ثلمة فيـك لايسـدها شـيء مـا اختلفت الأيـام والليالي ولذا قال الناظم إلى بلوغ الشيب يعيبه النـاس بـذاك العيـب هــ، فـالحذر فأيام الشبيبة أيام محنة وابتلاء يقلب الشيطان والنفس للشاب الفعل القبيح حسـنا ولقد صدق القائل:

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

وفي الحديث الشباب شعبة من الجنون وعن سيدنا علي كرم الله وجهه ليس العجب لمن هلك كيف هلك وإنما العجب لمن نجا كيف نجا ويرحم الله من قال:

اني بليت باربع ما سلطوا على الا لمحنتي وشقائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم اعداء

إبليس يسلك في طريق مهالكي والنفس تأمرني بكل شقائي

وزخارف الدنيا تقول أما ترى حسني وفخر ملابسي وبهائي

وجنودهم دارت بسور مدينتي يا عدتي ومؤملي ورجائي. هـ

فانا لله وإنا إليه راجعون فالأمر عسير وان من اخطاه هذا اصابه هذا وان النفس والشيطان ربما حسنا الفعل الحسن صورة وخرباه من الإخلاص أو بالكبر أو الرياء أو غير ذلك كما قال الإمام البوصيري:

كم حسنت لذة للمرأ قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

وقال: وخالف النفس والشيطان واعصهما البيتين... هـ، ثم قال رحمه ا لله

(ص) ثم من اللازم للغلمان ان يهجروا صنائع النقصان
كالسرقات وفعال الاثم وكل أمر مورث للوم

(ش) أي من اللازم أي الواجب على الغلمان أي الأولاد ففي المصباح الغلام الابن الصغير وجمع القلة غلمة بالكسر وجمع الكثرة غلمان ويطلق الغلام على الرجل مجازا بإسم ما كان عليه كما يقال الصغير شيخ مجازا بإسم مايؤول إليه، أن يهجروا أي يتركوا جميع النقائض ثم بين بعضها فقال كالسرقات البيت أي من الكذب وغيره وأنْ يتركوا فعال اللئام أي التي تورث اللوم كشرب الحشيشة والرقص والتصفيق وحلق اللحي والوقوف في محلات اللهو ومواطن التهم، قال صلى ا لله عليه وسلم ﴿من دخل مدخل السوء تهم ولو سلم﴾، ومن كثر سواد قوم فهو منهم... وعليه فلاينبغي للإنسان أن يذهب أو يجلس حيث يساء الظن به ولو كان في نفس الأمر سالما لما في ذلك من وقوع نفسه ووقوع غيره في الهلكة أما هلكة نفسه فلما تقدم من أن من كثر سواد قوم فهو منهم ولأن المعصية فيها سخط ا لله عز وجل فربما عجل ا لله عقوبتهم وهو معهم، وما هي من الظالمين ببعيد او أصيب بفتنة في نفسه لمخالفته امر ربه ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم﴾، وأما هلكة الغير فلوقوعهم في عرضه وهو المتسبب لذلك هذا.

وفي شرح السراج مانصه ان من آداب الشيخ المرعية ان يتنزه ويبعد عن مواضع التهم حفظا لعرضه وحسبه لان العرض مهم ومتاكد فينبغي الاعتناء

يحفظه إذ صون العرض مما يشين ويعيب من اكد مايعتني بـه العـاقل اللبيـب قـال الشاعـر:

فانا وجـدنا العرض احـوج ساعة إلى الصون من ربط يمان مسهـم

آخــر:

ولاخير في عـرض امرء لايصونـه ولاخير في علم امرءي ذل جانبـه

آخــر:

يهـون علينا ان تصاب نفوسنـــا وتسلم اعــراض لنـا وعقـــول

فالعرض جوهر نفيس لايفرط في حفظـه إلا خسـيس فيجـب ان يحفـظ ويحاط بما أمكن من وجوه الاحتياط التي منها بذل المال، فان بذله لحفظ العـرض من أشرف الاحوال، ففي الحديث ذبوا بأموالكم عن اعراضكـم، قـالوا يارسـول الله كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا، قال تعطون الشـاعر ومـن تخـافون لسـانه، خرجه الخطيب عن أبي هريرة وابن للال عن عائشـة، وورد مـاوقى بـه العـرض فهو صدقة، وقال العلماء على قوله صلى الله عليه وسلم ﴿فمن إتقـى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه﴾ ان في عطف العرض على الدين إشـارة إلى أن صيانـة العرض من صيانة الدين فيجب حفظه كما يجب حفظ الدين.

ولابى فارس:

وما حاجتي في المال ابغى وفـوره إذا لم يفـر عـرضا فلا وفر للمال

ولابن شرف:

وبذلك الـمـال للاعـراض وقايـة وصونك الـمال يبقى العرض مبذولا

ولا آخــر:

صـون الفـتى عـرضه مـما يـدنسه وصـونـه مـالـه مالـيـس يـجـتمـع

الـمـال يـتـلـفـه دهـرا ويـرجـعـه إليـه والعرض لايـمضـى فيرتـجـع

ولا آخـــر:

واجـعل مالـي دون عـرضي جـنة | لنفسي واستغنى بماكان من فضل

ولطرفة بن العبـد:

واعـسـر احـيـانا فـتشـتد عسرتي | فـــادرك ميسور الغنى ومعي عرضي

ولا آخـــر:

صن العرض وبذل كل مال ملكته | فـان ابتذال المال للعرض اصـــون

وقلت من قصيدة ناصحة:

وصن بـمالك عـرضا يـستهم بـه | ذو همـة همـه في رفـعـة الـرأس

وقد قال المعتمد بن عباد ابخـل النـاس بمالـه اجودهـم بعرضـه، ولبعـض الشعراء يمدح صون العرض بالمال:

فـتى جـعـل الدنـيـا وقـاء لعرضـه | واسـدائـه الـمعـروف عند عداتـه

ولـو خـذلـت أمـوالـه جود كـفـه | لـقاسم من يـرجـوه شطر حياتـه

ولو لم يجزفني العمر قسما لطالب | وجـاز له الاعطـاء من حسنـاتـه

لـجـاد بها من غير كـفـر لـربـه | واشـركـه في صومـــه وصلاتـــه

وقد علمنا رسول الله صلـى الله عليـه وسلم التبري مـن الظـن بقولـه للرجلين الذين رأيـاه ومعـه زوجتـه صفيـة بنـت حيي فأسـرعا في السـير (على رسلكما إنما هي صفية)، ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾، ثـم نبـه رضي الله عنه على قطع الشجرة من أصلها كيلا يحتاج إلى تفصيل فقال:

(ص) والضابط الـمحرر الصواب | ان يتـركـوا الـحال الذي يـعـاب

(ش) أي ان الضابط لصانع النقصان وفعال اللئام المحرر لها على الاجمال هو ان يتركوا أي الغلمان جميع مايعاب به الإنسان والحاصل ان الصـواب الـذي

ينجي من العطب هو أن تترك أيها الشاب ما لو ظهر على غيرك لعبته به واستقبحته عليه ولايصح لك ان تعرف ذلك من نفسك بنفسك لأنك لاتنظر إلى نفسك إلا بعين الكمال، ففي المثل يرى القذي في عين غيره ولايرى الجذع في عين نفسه ولكن تعرف ذلك من مخالطة الناس أو من أعدائك الذين يلتمسون عثراتك قال الشاعر:

عدائي لهم فضل علي ومنة　　فلا ابعد الرحمن عني الاعادي
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها　　وهم نافسوني فاكتسبت المعالي

فخذ الأدب في ذلك من مخالطة الناس بان تنظر إلى احوالهم وكلما عبته عليهم فاجتنبه او من الاعدا، كما علمت فان ذلك يغنيك عن التفيصل واليك امثلة قصيرة لتفهم جيدا فانظر إلى الكذاب كيف يصير حاله عند المقابلة فضلا عما يؤول اليه من غضب الله (قتل الخراصون) ويل لكل افاك اثيم) ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) الاية هل ترضى لنفسك حالته وقتئذ (الجواب لا) فاترك الكذب، وانظر الى المغتاب والى النمام كيف يصير حالهما عند المقابلة ايضا مع النهي والوعيد الشديد من الرب المجيد قال جل جلاله: ﴿يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا﴾ الآية، ﴿ويل لكل همزة﴾ السورة، وقال تعالى في ذم الوليد واللئيم ﴿ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم﴾ الآية، هل يرضى من له عقل أن يكون بهذه المثابة، الجواب لا، وانظر إلى السارق كيف تقطع يده في ربع دينار وقد كانت قبل ذلك في حمى الله وفي قطعها خطأ خمسمائة دينار وفي معناه قيل

يد بخمس مئين عسجد ودية　　ما بالها قطعت في ربع دينار
عز الامانة اغلاها وارخصها　　ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

قال ا لله تعالى ﴿السارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من ا لله﴾ الآية، فهل يرضى ذو عقل بهذه الإهانة مع نقص الجارحة، الجواب لا، وانظر إلى الزاني المحصن كيف يموت شر قتلة تحت الحجارة وإلى غير المحصن كيف يجلد مائة ويغرب عاما بعد النداء واجتماع الناس قال تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين ا لله﴾ الآية.

وهو قبل ذلك كان ظهره حمى ا لله وفي لذة قليلة صار مهانا لاقيمة له عند ا لله ولاعند المؤمنين، وانظر إلى القاذف أيضا كيف يستوجب ثمانين جلدة في كلمة واحدة فهل يرضى من له عقل سليم ان يبدل كرامته وجلاله ومقداره عند ا لله وعند المؤمنين بلذة قليلة؟، الجواب لا، وانظر إلى شارب الخمر كيف يضيع ماله فيما يذهب عقله ويصير مضحكة للصبيان ويوجب له ثمانين جلدة وإذا لم يقم الحد على من ذكر في الدنيا ففي الآخرة بسياط من نار إلا ان يعفو ا لله، أفلا يستحي من له عقل سليم؟، الجواب نعم، ثم قال رضي ا لله عنه:

(ص) وكل مايشينهم في الجهر عليهم هجرانه في السر

(ش) أي ويجب عليهم هجران أي ترك كل ما لو ظهر عليهم لشأنهم واستحوا من فعله فكما يستقبح جهرا يجب تركه سرا وا لله أحق ان يستحي منه من الناس، ثم قال رضي ا لله عنه:

(وجوب طاعة الوالدين)

(ش) ذكر في هذه الترجمة حكم طاعة الوالدين والاحسان إليهما، فقال رضي الله عنه مشيرا لمايجب لهما على أولادهما:

(ص) وواجب اطاعة الأبناء … لأمهاتهم وللآباء
في كل أمر جائز مباح … ليس به في الدين من جناح

(ش) أي يجب على الأبناء طاعة الوالدين في جميع الأمور المباحة فلا يفعل الولد فعلا إلا بأمرهما وان أمراه امتثل أمرهما اللهم إلا إذا أمراه بمعصية أو عاقاه عن طاعة فلا، قال صلى الله عليه وسلم ﴿لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق﴾، فمن ادام الصيام مثلا وأمراه أو واحد منهما بالفطر ولو في نهار الصوم فليطعهما وان كان في صيام فلا، وهكذا الصلاة والجهاد والحج، فمن قالت له أمه لاتخرج لصلاة العشاء شفقة عليه فلايطعها وإذا شدد على نفسه في قيام الليل وامرته بالرفق فليطعها، وإذا لم يعم الجهاد فلايخرج إلا بأذنها وإذا عم اوفجأ العدو فلا وهكذا، ثم قال:

(ص) فالولدان لهما الاحسان … على البنين من زمان كانوا
والله في القرآن اوصى بهما … فلهما كن ابدا معظما
واخدمهما خدمة عبد طائع … وان يقولا فاغد خير سامع

(ش) أي يجب على الولد الاحسان الى والديه لامر الله بذلك في كتابه المبين كما قال الله في القرآن اوصى بهما البيت فلعظم شأنها ذكر الله امرهما في آيات عديدة والقرآن الكريم من ذلك قوله تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾،

﴿قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾، ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته امه وهنا على وهن﴾ الآية، ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ الآية ، إلى غير ذلك.

فعلى الولد ان يعظم شأن والديه في جميع الامور ولايرفع صوته عليهما وان يسرع إلى قضاء حوائجهما في سكينة واطمئنان من غير ضجر وتكبر ملتمسا بذلك رضا هما ليكون ممن امتثل امر ربه تعالى وهو قوله عز وجل ﴿ولاتقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾، وليتأهل لمغفرة ربه المنوطة بطاعة الباطن ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم ﴿لو علم الله شيئا من العقوق ادنى من اف لنهي عن ذلك فليعمل العاق ماشاء ان يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ماشاء ان يعمل فلن يدخل النار﴾ هـ. من تنبيه الغافلين ومنه أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما من مؤمن له ابوان فيصبح وهو محسن إليهما الا فتح الله له بابين من الجنة ولايسخط عليه واحد منهما فيرضى الله تعالى عنه حتى يرضى قيل وان كان ظالما قال وان كان ظالما، وروي هذا الخبر مرفوعا فيه زيادة قال ولايصبح وهو مسيء إليهما إلا فتح الله له بابين من النار وان كان واحد فواحد، وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد الجهاد فقال أحي ابواك، قال نعم، قال ففيهما فجاهد إلخ، ويقال ثلاثة آيات نزلت مقرونة بثلاث لايقبل الله واحدة منهن بغير قرينتها، أولها قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة﴾ فمن صلى و لم يؤد الزكاة لم تقبل منه الصلاة، والثاني قوله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فمن أطاع الله و لم يطع الرسول لم يقبل منه، والثالث قوله تعالى ﴿ان اشكر لي

ولوالديك﴾ فمن شكر الله و لم يشكر لوالديه لم يقبل منه والدليل ماروي ان الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿إن لعنة الوالدين تبتر﴾ أي تقطع أصل ولدهما إذا اعقهما، فمن ارضى والديه فقد ارضى خالقه ومن اسخط والديه فقد اسخط خالقه ومن ادرك والديه أو احدهما فلم يبرهما فدخل النار فابعده الله، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال ﴿الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله﴾، وعن فرقد السنحي قال قرأت في بعض الكتب انه لاينبغي للولد ان يتكلم إذا شهد والديه إلا باذنهما ولايمشي بين يديهما ولا عن يمينهما ولا عن شمالهما إلا ان يدعواه فيجبهما ولكن يمشي خلفهما كما يمشي العبد خلف مولاه.

وروي ابان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان شاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة فمرض فاشتد مرضه فبعثت امرأته إلي الرسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجي في النزع فأردت أن أعلمك بحاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال وعلي وسليمان وعمار إذهبوا إلى علقمة فانظروا ماحاله فانطلقوا حتى دخلوا عليه فقالوا له قل لاإله إلا الله فلم ينطلق لسانه فلما أيقنوا على أنه هالك بعثوا بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره بحاله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل له ابوان، فقيل له أما أبوه فقد مات وله أم كبيرة السن، فقال يابلال انطلق إلى أم علقمة فاقرئها مني السلام وقل لها ان قدرت على السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا فقري حتى يأتيك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرها فقالت نفسي لنفسه الفداء، أنا أحق باتيانه فأخدت العصا فمشت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أصدقينى فان كذبتيني جاءني الوحي من الله تعالى كيف كان حال علقمة،

قالت يارسول الله كان يصلي كذا وكان يتصدق بجملة من الدراهم مايدري كم وزنها وما عددها، قال فما حالك وحاله، قالت يارسول الله اني عليه ساخطة واجدة، قال لها و لم ذاك، قالت كان يؤثر إمراته علي ويطيعها في الأشياء ويعصيني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله، ثم قال يابلال انطلق واجمع لي حطبا كثيرا حتى احرقه بالنار، فقالت يارسول الله ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار بين يدي فكيف يتحمل قلبي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم علقمة فعذاب الله أشد وأبقى فان سرك ان يغفر الله له فارضي عنه فو الذي نفسي بيده لاتنفعه الصلاة ولا الصدقة مادمت عليه ساخطة فرفعت يديها وقالت يارسول الله أشهد الله في سمائه وانت يارسول الله ومن حضرني اني قد رضيت عن علقمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يابلال فانظر هل يستطيع علقمة ان يقول لا إله إلا الله فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق بلال فلما انتهى إلى الباب سمع علقمة يقول لا إله إلا الله فلما دخل قال ياهؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه، فمات من يومه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وتكفينه وصلى عليه ثم قام على شفير القبر وقال يامعشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ولايقبلّ منه صرف ولاعدل يعنى الفرائض والنوافل.

ثم قال (ص) **حسن النية ولزوم طاعة المعلم.**

(ش) ذكر في هذه الترجمة أساس المعلم ومبناه وسبيله ومقتضاه، فقال:

(ص) ثم على قاصد نيل الارب ان يحسن النية قبل الطلب

فانما الاعمال بالنيات وحسنها الاساس للخيرات

(ش) أي من الواجب على قاصد نيل الارب أي بلوغ المهم المراد الذي هو العلم ان يحسن النية في الأستاذ قبل الشروع في الطلب، واستشهد بحديث ﴿إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل إمريء مانوى﴾، واشار بان حسنها هو الاساس الاعلى لنيل جميع الخيرات والخير مايمدح عليه فاعله شرعا فيشمل جميع الطاعات التي معظمها العلم، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿كم من عمل يتصور بصورة أعمال الدنيا ويصير يحسن النية من أعمال الآخرة وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ثم يصير بسوء النية من أعمال الدنيا﴾.

فائدة مهمة صح بل تواتر مرفوعا ﴿إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمريء مانوى﴾ فالجملة الأولى دلت على توقف صحة العمل على حصول النية، والثانية اشارت إلى أنها بعد ذلك لها مراتب كثيرة متفاوتـه غاية التفاوت فمن الناس من ينوي بالفعل نية واحدة فله ثوابها ومنهم من ينوي به عشرين نية مثلا فله ثوابها ومنهم من ينوي به نية عالية فله ثوابها فالمعنى مانواه من قليل أو كثير وجليل أو حقير، والفعل الواحد ينوي به احد الفاعلين أمرا مندوبا فله ثوابه وينوي به الآخر واجبا فله ثوابه.

وقد ذكروا أن فروض الكفاية كالصلاة على الجنازة وسنة الكفاية كالآذان والاقامة إذا أراد فاعلها اسقاط الحرج عن حاضري ذلك الموضع من المكلفين كانت لـه أجورهم وان بلغت اعدادهم مابلغت وفي الاسرائليات ان

رجلا مر بكثبان رمل في زمان مجاعة فقال لو كان لي عدد هذا الرمل من الطعام لتصدقت به على المساكين فاوحى الله إلى نبي ذلك الزمان ان قل له ان الله تقبل صدقتك وشكر سعيك، من حاشية الشيخ قنون.

وعليه فينبغي ان ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وازالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وابقاء الاسلام فان بقاء الاسلام بالعلم ولايصح الزهد والتقوى مع الجهل ولبعضهم:

فساد كبير عالم متهتك وأكبر منه جاهل متنسك

هما فتنة في العالمين عظيمة لمن بهما في دينه يتمسك

وينوي به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن ولاينوي به إقبال الناس عليه ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان اللهم إلا إذا طلب الجاه للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وينبغي لطالب العلم ان يتفكر في ذلك فانه يتعلم العلم بجهد كثير فلايصرفه في الدنيا الحقيرة القليلة الفانية.

قال شاعر:

هي الدنيا اقل من القليل وعاشقها أذل من الذليل

تصم بسحرها قوما وتعمي فهم متحيرون بلا دليل

وينبغي لأهل العلم الا يذل نفسه بالطمع في غير مطمع ويتحرز عما فيه مذلة العلم وأهله ويكون متواضعا وفي معناه قيل:

ان التواضع من خصال المتقي | وبه التقي إلى المعالي يرتقي
ومن العجائب عجب من هو جاهل | في حاله أهو السعيد أم الشقي
أم كيف يختم عمره أو روحه | يوم الثوى متسفل أو مرتقي
والكبرياء لربنا صفة به | مخصوصة فتجنبها واتقي

قال ابوحنيفة رحمه الله لأصحابه عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم وإنما قال ذلك ليلا يستخف بالعلم وأهله، ثم قال رضي الله عنه منبها على أكبر أسباب الفتوح:

(ص) وأعظم الأسباب للفتوح | اطاعة المعلم النصوح
في كل أمر جائز مشروع | ليس بمحظور ولا ممنوع
واخدمه والزم عنده التواضعا | وكن إلى اكرامه مسارعا

(ش) أخبر أن أعظم أسباب الفتوح طاعة الأستاذ في كل أمر جائز له وجه في الشرع ليس محظورا أي ممنوعا وقوله واخدمه والزم عنده التواضعا البيت هذا أمر من الناظم وتفسير للطاعة أي ومن طاعته اخدامه والتواضع لديه واكرامه فالزم أيها المتعلم ذلك ليفتح عليك... وذلك لان الطالب لاينال العلم ولاينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره فقد قيل ما وصل من وصل إلا بمحبة من وصل، وقيل أيضا ماوصل من وصل إلا بالحرمة وماسقط من سقط إلا بترك الحرمة، وقيل الحرمة خير من الطاعة ألا ترى ان الانسان لايكفر بالمعصية وإنما يكفر باستخفافها وترك الحرمة ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم، قال علي كرم الله وجهه أنا عبد من علمني حرفا واحدا ان شاء باع وان شاء أعتق وان شاء استرق وفي ذلك قيل شعر

رأيت احق الحق حق المعلم وأوجبه حفظا على كل مسلم
لقد حق ان يهدي إليه كرامة لتعلم حرف واحد ألف درهم

فإن من علمك حرفا واحدا في الدين فهو أبوك في الدين، وكان الشرازي رحمه الله يقول:

من أراد ان يكون ابنه عالما فينبغي أن يراعي الغرباء من الفقهاء ويكرمهم ويطعمهم ويعطيهم شيئا فإن لم يكن ابنه عالما يكون حفيده عالما.

ومن توقير المعلم ان لايمشي أمامه ولايجلس مكانه ولايبتدى بالكلام عنده إلا بإذنه ولايكثر الكلام عنده إلا بإذنه ولايسأل شيئا عند ملالته ويراعي الوقت ولايدق الباب بل يصبر حتى يخرج وبالجملة يطلب رضاه ويجتنب سخطه ويمتثل امره في غير معصية الله تعالى فانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلق به.

قال صاحب السراج:

وعظمنه واحترم من انتسب له وشكره عليك قد وجب
وادع له في الغيب والحضور بما يفيد فيضان النور
وكن مطيعا والتمس رضاه ولاتحاول غير ما اقتضاه... إلخ الباب

والمعنى عظم أيها التلميذ شيخك الذي تقرأ عليه العلم وراع منزلة من انتسب إليه ببنوة أو ابوة أو غيرهما واشكره فان شكره واجب عليك وتعظيم العلماء في الحقيقة تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لانهم انصار دينه وخلفاؤه ونوابه وقد امسك ابن عباس على جلالة قدره بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال هكذا أمرنا ان نفعل بعلمائنا وفي الحديث ﴿من وقر عالما فقد وقر

ربهﷺ، وقد صب الرشيد الماء على يد معاوية الضرير حين فراغه من الأكل تعظيما للعلم، ورأي الرشيد أيضا يوما ولده يصب الماء على رجل الاصمعي شيخه وهو يتوضأ ويغسل رجليه فعاتب الاصمعي في ذلك وقال انى بعثته لك لتعلمه وتؤدبه فلم تأمره ان يصب الماء باحدى يديه ويغسل رجليك بالاخرى، وروي ان هارون نفسه بعث إلى مالك ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يوتى ولاياتي فسار الرشيد ليأخذ عنه فاستند إلى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام الرشيد فجلس بين يديه، وقال الشافعي رضي الله عنه كنت اتصفح الورقة بين يدي مالك تصفحا رقيقا هيبة له ليلا يسمع نقعها إلى ان قال وقد بلغنا عن الامام النووي انه دعاه شيخه يوما ليأكل معه فقال ياسيدي اعفني فان لي عذرا شرعيا فتركه فسأله بعض اخوانه ماذلك العذر الشرعي، فقال أخاف ان تسبق عين شيخي إلى لقمة فأكلها وأنا لا أشعر، ثم قال في العهود ثم من اقل افات سوء ادبك يا أخي مع الشيخ ان تحرم فوائده فانه يكتمها عنك بغضا فيك واما ان لسانه ينعقد عن ايضاح المعاني لك فلاتتحصل من كلامه على شيء تعتمد عليه عقوبة لك فإذا جاءه شخص من المتادبين معه انطلق لسانه لموضع صدقه وادبه معه فعلم انه ينبغي للطالب ان يخاطب شيخه بالاجلال والاطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ولايجاد له قط بعلم استفاده منه في وقت اخر الاعلى سبيل التعرف فيقول ياسيدي سمعناكم تقررون لنا امس خلاف هذا فماذا تعتمدون عليه من التقريرين الان حتى نحفظه عنكم ونحو ذلك من الالفاظ التي فيها رائحة الأدب، وكذلك لاينبغي له ان يسعى على احد من اصحاب شيخه فضلا عن أولاده فان الواجب على كل طالب ان يحفظ نفسه من كل مايغير خاطر شيخه في غيبته وحضوره، اهـ. وقال الإمام الماوردى ان التعلق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب

لادامة صبره وباظهار مكنونه تكون الفائدة وبادامة صبره يكون الاكثار ثم قال ولايمنعه من ذلك علو منزلته وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالشهرة والمال، اهـ. إنتهى من شرح السراج.

وفي حاشية سيدي محمد بن المداني علي الشيخ قنون مانصه بلزوم بر المعلمين ويجعلوه قبلتهم وينظروا إليه وينصتوا له ويوقروه ويستأذنوه في السؤال ولايحفظوا زلته ولايتطلبوا عثرته وليستروا عورته وهم في الحقيقة آكد من الآباء في المبرة إلى ان قال: وفي العهود أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نكرم العلماء ونجلهم ونوقرهم ولا نرى لنا قدرة على مكافأتهم ولو أعطيناهم جميع مانملك أو خدمناهم العمر كله.

وهذا العهد قد أخل به غالب طلبة العلم والمريدين في طريق الصوفية الآن حتى لاتكاد ترى أحدا منهم الآن يقوم بواجب حق معلمه وهذا داء عظيم في الدين يؤذن باستهان العلم وبامر من أمرنا باجلال العلماء صلى الله عليه وسلم فصار احدهم يسخر على شيخه حتى يصير شيخه يداهنه ويلاطفه ليسكت عنه فلاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم، ثم قال فاعلم انه ينبغي للطالب ان يخاطب شيخه بالاجلال والاطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك، وفيها أيضا اخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبجل العلماء والصالحين والاكابر ولو لم يعملوا بعملهم ونقوم بواجب حقهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى فمن اخل بواجب حقهم من الاكرام والتبجيل فقد خان الله ورسوله، فان العلماء نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملة شرعه وخدامه فمن استهان بهم تعدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر وقد مال إلى ذلك من كفر من قال عن عمامة عالم هذه عميمة

العالم بالتصغير، ثم قال فاعلم: ان كل من أقام الميزان بغير حق على العلماء والأكابر حرم النفع بهم وعصي الله ورسوله والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وروي الطبراني مرفوعا تواضعوا لمن تعلمون عنه وفي رواية أيضا مرفوعا ثلاثة لايستخف بهم إلا منافق، ذو شيبة في الإسلام، وذو العلم، والإمام المقسط.

وفيها أيضا من استحقر استاذه ابتلاه الله بثلاث عقوبات، الأولى ان ينسى ماحفظ منه، والثانية أن يكل لسانه عند الفزع، والثالثة ان يخرج من الدنيا بغير إيمان، ولأبي عمر الدواني

فالتزم الاجلال والتوقيرا ... لمن يريك العلم مستنيرا
وكن له مبجلا معظما ... مرفعا لقدره مكرما
واخفض له الصوت ولاتضجره ... وما جنى عليك فاغتفره
فحقه من أعظم الحقوق ... وهجره من اعظم العقوق

وقال أبو علي اليوسي رحمه الله في آداب المتعلم، ومنها أن يعظم شيخه ولايزال ناظرا له بعين الاجلال ويعتقد فيه درجة الكمال ويتواضع له ويخضع بين يديه ويهابه غاية الهيبة ويعلم ان خضوعه له عزو ذلته بين يديه رفعة ويقال ان الإمام الشافعي عوتب في ذلك فقال (أهين لهم نفسي فهم يكرمونها، ولن تكرم النفس التي لاتهينها)، ثم قال أبو علي ومنها أن يعرف له حقه ويشكر صنعه والمنة التي أجراها الله على يديه ويعتقد انه أبوه بالولادة الروحانية وهي أفضل من الطبيعية فلايزال مثنيا عليه ومستغفرا له ومسديا له غاية مايمكنه من الاحسان وساعيا له في مكافأته بكل وجه يمكن وفي الحديث من أسدى إليكم معروفا فكافئوه وكل مايفعله في حضوره يفعله في غيبته وبعد موته فينصره ويغضب له ويجاوب عنه من يذكره بسوء وان عجز قام عن المجلس وكذا يعامل أولاده

وأقاربه وأحباءه وسائر من له به نسبة وهذا شأن الصحبة والمحبة على الاطلاق.

قال في الحكم إذا شئت ان تلتذ بلمحة شهود العيان تذلل لمحبوبك في سائر الأماكن وكل الزمن، وفي ذلك قيل:

تذلل لمن تهوى لتنهز فرصة　　　فكم عزة قد نالها المرء بالذل

ويقال شوق الشوق، به تطيب المحبة والذوق ولهذا ترى الاشباح تابعة للارواح، كما قيل:

ومازال بي شوق إليك يقودني　　　يذلل مني كل ممتنع صعب
إذا كان قلبي سائرا بزمامه　　　فكيف لجسمي بالمقام بلاقلب

ومن أحسن ماقيل في أدب المريدين قول الشيخ الجكني:

إذا هديت لشيخ واعتصمت به　　　فثق بنيلك نصر الله والامـلا
لاتيأس وظن السوء جنبـه　　　واسلم له النفس والأولاد والشغلا
وصن علومك وابغ مالديه ولا　　　تبغي النزاع ولا المرآء والجدلا
لاترغبن رجوعا ان نزلت به　　　فكن كميت إذا في القبر قد نزلا
وكن اديبا ذليلا واستغيثن به　　　لاتزهدن إذا ترى به خللا
والامر والنهي بادران بليت به　　　فانهض وكن سريعاولاتكن كاسلا
وظن خير بما تراه فاعلـه　　　من بحر كنز علوم الله مافعلا
واقصد شمائله واحمل نكايته　　　فلا تخل ابدا نداءه زللا
واحفظ رعايته واحفظ ودائعه　　　تشهد مشاهدة تكمل كما كملا
وعد زيارته ترى زيادتـه　　　تفرج الهم والكروب والعللا
واسلك مسالكه واقصد مقاصده　　　كل المواهب ان حصلت ذا حصلا
فهو الذي اختاره المولى وطهره　　　فدخص بالقرب والتجديد واعتدلا

وفيما نقلته كفاية والله الموفق، ثم قال رحمه الله:

ثم تحري دائما مسرته   واستر بلطف وكما زلته

(ش) ثم حرف عطف والمعنى ثم بعد لزوم طاعة المعلم واخدامه تحري ايها التلميذ دائما مسرته ومن المعلوم ان مسرة الاستاذ لاتنال إلا بالاجتهاد في الدرس مع حسن النية ولزوم الأدب، قال الشاعر:

يامن يريد الحفظ للقرآن   وسائر العلم فخذ بياني
عليك بالدرس والاعتزال   والصبر والتقوى وحسن الحال
ولاتكن للشيخ كالمملوك   تنل وتبلغ مبلغ الملوك
من لم يذق ذل التعلم فلا   ينال حفظا ويموت جاهلا

وقوله واستر بلطف وكمال زلته لأي كما يطلب منك أيها التلميذ ان تتحرى مسرته، يطلب منك ان تستر زلته على فرض وجودها منه والمعنى إذا ظهرت لك زلة من الشيخ فاعضض الطرف عنها بلطف وكمال وتأول لها تأويلا حسنا فان العلماء والاولياء ليسوا معصومين ظاهرا وان العلماء يجب الاقتداء بأقوالهم ولايصح قيام الميزان على افعالهم ولبعضهم:

خذ من أقوالي ولاتنظر إلى فعالي   واقصد بذلك وجه الخالق الباري
أهل الرواية كالاشجار مثمرة   أجني الثمار وماعليك في القاري

وفي الابريز ان بعض الاشياخ المربين كانت له تلاميذ فنظر إليهم يوما من الايام بعين بصيرته فلم ير منهم من يصلح للسر إلا تلميذا واحدا فإمتحنهم رضي الله عنه بان جلس معهم بحذاء خلوته فإذا بامرأة من أحسن النساء مقبلة حتى إذا دخلت الخلوة قام ودخل معها وارخى الستر ومكث طويلا فجعل بعضهم يغمز بعضا ويذهبون أفواجا أفواجا حتى إذا لم يبق إلا ذلك التلميذ

الملحوظ بعين العناية الربانية أخذ الماء والحطب وأراد أن يهيء الوضوء للشيخ فخرج عليه الشيخ حينئذ وقال له لم قعدت بعد أصحابك و لم هذا الوضوء، فقال لك فلربما تحتاج الاغتسال، فقال له أما علمت بان لازوجة لي وان المرأة التي كانت معي أجنبية، وهل بعد صدور الفاحشة مني تبقى تخدمني؟ قال نعم، قال و لم ذاك؟ قال لأني لما أتيتك اعتقدت فيك الولاية لا النبوة والاولياء تقع منهم المعصية حسب الظاهر وعلى فرض وجودها منك لاتذهب بالنور الذي أطلبه أنا، فحينئذ نظر إليه الشيخ نظرة صار بها وليا من أولياء ا لله، اهـ ببعض اختصار وتأخير لأني كتبته من حفظي، ثم قال رضي ا لله عنه:

وإن يكن يوما عليك غاضبا	فكن إلى نيل رضاه طالبا
واصبر على تأديبه الشديد	فالصبر وصف الولد المحمود

(ش) أي وان رأيته ساخط عليك فالتمس رضاه ما أمكن وأصبر على تأديبه وإن شق عليك فان الصبر هو الذي يفتح لك الباب وان الجزع هو سبب الحرمان، فقد قيل خزائن المنن على قناطير المحن.

قال الشاعر:

ان المعلم والطبيب كلاهما	لاينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه	واقنع بجهلك ان جفوت معلما

و لله در الشافعي إذ يقول:

تصبر على مر الجفا من معلم	فان رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة	تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه	فكبر عليه أربعا لو فاته
حياة الفتى وا لله بالعلم والتقى	إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ثم قــال:

(ص) ثـم اتـخـذه ناصحا أميـنـا　　　لاتـتـخـذه مـبـغـضـا مـهـيـنــا

فـإنـه الـمـحـسـن ذو الــولاء　　　وان يـكـن في صـورة الاعـــداء

(ش) هذا كالدليل لما قبله فعلى التلميذ ان يجعل شيخه في صورة النصحاء مأمونا ظاهرا وباطنا فلا يشرع في فن حتى يشير عليه فيه وليشاوره في جميع أموره ويرى الخير جميعا في رأيه فان الشيخ في تلاميذته كالنبي في أمته فانه المحسن العظيم صاحب الولاء المبين يريك الداء ويدبر لك الدواء فهو وان رأيته في صورة منكرة وشدة عظيمة فهي الحالة التي تلائمك وقتئذ لان الشأن الا يضع اللين في موضع الشدة ولا الشدة في موضع اللين، الا ترى الطبيب كيف لاينزعج من تألم المريض عند قطع العضو المعلول أو جرحه وكيف يقسى ويتصلب لما ظهر له ان الدواء لاينجح إلا بذلك.

فالشيخ والطبيب على حد سواء بل الشيخ أعلى لانه يداوي القلب ومرض الجهل والطبيب يداوي الجسد فحسب وشتان مابينهما، ثم اثنى رضي الله عنه على من بهذه المثابة فقال:

(ص) فـرحم الله الذي أبكـانـي　　　لكن إلى الـخـيرات قـد هـدانـي

(ش) هذا دعاء من المصنف للمؤدب الذي يرى في ظاهر الامر في صورة الاعداء وهو في الباطن مرشد قائد إلى الخيرات ثم اعلم أيها المتعلم بانك ستحمد عاقبة من ادبك واخرجك من رق نفسك وقادك إلى فعل الطاعات وان كنت وقتئذ تكره ذلك لما ألفت النفس من البطالة والنوم واللهو والكسل وغير ذلك، قال الشاعر:

العـلـم أولـــه مـر مـذاقـتـه　　　لكن عـواقـبه أحـلى من العـسل

وقال غيره:

لاتحسب المجد تمرا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

إذا فهمت هذا فمن أبكاك ظاهرا وأضحكك باطنا فهو الناصح الامين وإياك ثم إياك ان تغتر بمن يقودك إلى المعاصي وهو معجب لك ظاهرا وفي الحقيقة هو العدو الكبير المخرب لدينك ولذا قال رضي الله عنه:

(ص) وخاب من اضحكني بالباطل   وقادني الطرق الرذائل

(ش) خاب أي خسر أي خيب الله سعي الذي أضحكني بالباطل وقادني بقوله المزخرف وفعله المزيف إلى طرق الرذائل وهي الأفعال والأقوال المذمومة شرعا وهذه صفة قرناء السوء يزخرفون الظاهر ويخربون الباطن والنفس لما كان من طبعها الميل إلى الهوى فكل من وافقها على ذلك رضيت به وضحكت وتراه هو الفعل الحسن وهو في الحقيقة من أقبح الأمور وأخسها ولكن كما قيل:

يقضى على المرء في أيام محنته   حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

ثم قـــال:

(ص) النشـــاط والـهمـــة في طـلـب العلـــم

(ش) النشاط هو الجد والهمة هي طلب معـالي الامـور فالنـاظم رضـي الله عنـه، ذكر في هذا الباب مايطلب من طالب العلم من الجد والاجتهاد وعلو الهمة

(ص)ثم على من يطلب الفضائلا ان يهجـر الفتـور والـتكـاســلا
ويـغـتـدي مـجـتهـدا في درســه في كـل يـوم زائـدا عن أمســه
ويـلـزم الـصـبر على الـتحـصيـل مع سـهـر في لـيـلـه الـطـويــل
يـكــرر الــدرس بـــلاتــوانــــي حتى يـصـيـر مثـل طبـع ثـانـي

(ش) أي يجب على من يطلب معانقة الفضائل اعطاء مهر كامل وهـو ان يهجـر النوم والفتور والتكاسل ويجتهد ليزداد في كل يوم عن امسه علما وافرا فانـه مـن لم يكن في الزيادة كان في النقصان ومن كان في النقصان موتـه خـير مـن حياتـه وان يلزم الصبر أيام التحصيل والسهر في الليـل الطويـل ويكـرر الـدرس بلافتـور حتى يصير ثاويا بقلبه مطبوعا كانه مختوم قال صاحب السراج:

نـصابك الـمقروء فـانظر واجتهد وافهم وإن تـركت ذا لم تستـفد
وراجع الـنـظر فـيـه ثانيا وثالـثـا تـبـلـغ مكــانـــا عــاليـــــــا

ثم اعلم أيها الطالب ان العلم لايحصل إلا بالكد والإجتهـاد وإلى ذلـك الاشارة بقوله تعالى لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ﴿فخذها بقوة﴾ أي بجد وإجتهاد لاتراخ وكسل فان العلم لايأتي إلا للمجد المشتاق كان كسبيا أو وهبيا فلابد لمتعاطي العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس، قال بعضهم:

بـقـدر الكـد تكـتـسب الـمعـالـي فمن طـلـب الـعـلا سهـر الليالـي
تـــروم الـعــز ثم تـنـــام لـيـــلا يغوص البحـر من طـلب الـلآلـي

ولبعضهم:

فجد بالـروح والدنيا خـلـيـلي ... كذا الأوطـان كي تدرك سنـــاه

ورحم الله ابن الوردي إذ قال:

اطـلـب العـلـم ولاتكسل فـمـا ... أبـعـد الـخـير على أهـل الكسل
واحتـفل للـفـقـه في الـديـن ولا ... تـشـتـغـل عـنـه بـمـال وخـــول
واهـجـر الـنـوم وحـصـلـه فـمـن ... يعرف الـمطلوب يـحـقر ما بذل

والقائـل:

اطـلـب ولاتضـجـرن من مطلب ... فـآفـات الـطـالـب ان يـضـجـــرا
ألـم تـــر الـحـبـل بـتكـــراره ... في الـصـخـرة الـصـماء قـد أثـــرا

والقائـل:

الـعـلم نـور فـلاتـهمـل مـجالسه ... واعمل جميلا يرى فالفضل في العمل
لاتـرقـد الـلـيـل ما في النوم فائدة ... لاتكسـلن ترى الـحـرمان في الكسل

والقائـل:

العـلـم مـغرس كل فضل فاجتهد ... أن لايـفوتـك فـضـل ذاك المغرس
واعـلـم بـان الـعـلـم لـيس ينـاله ... مـن هـمه في مـطـعـم أو مـلـبس
إلا أخو العـلـم الذي يـغـنوا بـــه ... في حـالـتـيه عاريـا أو مكـتـسي
واحرص لـتـبـلـغ فيه حـظا وافـرا ... واهـجـر له طيب الـمـنـام وغـلـس
لـتعز حتى ان حضرت بـمـجـلس ... اكرمت فيه وكنت صـدر المجلس
ان الـخـلـي من العـلـوم مـقـامـه ... عند النعال له صموت الاخـــرس

والقائــل:

سهري لتنقيح العلوم ألذلي ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقري لألقي الرمل عن أوراق
أأبيت سهران الدجا وتبيته ... نوما وتبغي بعد ذاك لحاق

وللإمام الشافعي رضي الله عنه:

رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته أبآء لئام
وليس يزال يرفعه إلى ان ... تعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه في كل حال ... كراعي الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ماسعدت رجال ... ولاعرف الحلال ولا الحرام

والقائــل:

تعلم فان العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة ... من العلم واسبح في بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوى واعدل قاصد
هو العلم الهادي إلى سنن الهدى ... هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا ... أشد على الشيطان من الف عابد

وقال بعضهم لاينال العلم إلا من عطل دكانه وخرب بستانه وهجر إخوانه ومات أقرب أهله فلم يشهد جنازته... قلت وهذا كله بالنسبة إلى فضل العلم قليل، كما قال ابن الوردي فمن يعرف المطلوب يحقر مابذل، وإليك أيها الطالب نبذة من فضائله ففي الحديث عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من أراد ان ينظر إلى عتقاء الله من النار

فلينظر إلى المتعلمين والذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبني له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفورا له﴾، وعنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في جوف الماء﴾، وعنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿ان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون له أبوقبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله تعالى﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿إذا أتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم﴾، وقال صلى الله عليه وسلم في تفضيل العلم على العبادة والشهادة ﴿فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي﴾ فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لايخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عنيها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم ﴿فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة للبدر على سائر الكوكب﴾.

ومن وصايا لقمان لابنه يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء، وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال لا أعلم شيئا أفضل من الجهاد في سبيل الله إلا أن يكون طلب العلم فإنه أفضل من الجهاد في سبيل الله ومن خرج من بيته في طلب باب العلم حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الملائكة في جو السماء والبهائم في البر والحيتان في البحر وأتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقا، وعن ابي الدرداء رضي الله عنه الناس رجلان عالم ومتعلم ولاخير فيما سوى ذلك.

ويقال من ذهب إلى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شيء مماقاله إلا أعطاه الله سبع كرامات أولها ينال فضل المتعلمين، وثانيها ما دام جالسا عنده كان محبوسا عن الذنوب والخطايا، وثالثها إذا جري من منزله نزلت عنيه الرحمة، ورابعها إذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته، وخامسها تكتب له الحسنات مادام مستمعا، وسادسها تحفهم الملائكة بأجنحتها وهو فيهم، وسابعها كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعا للدرجات وزيادة في الحسنات، هذا لمن لم يحفظ شيئا واما الذي يحفظ فله اضعاف مضاعفة.

وعن عمر رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليخرج من بيته وعليه من الذنوب مثل جبال تهامه فإذا سمع العلم خاف الله واسترجع من ذنوبه فينصرف إلى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فانه لم يخلق على وجه الأرض أكرم من مجالس العلماء ولو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر إلى وجه العالم لكان الواجب على العاقل ان يرغب فيه كيف وقد اقام النبي صلى الله عليه وسلم العلماء مقام نفسه، فقال ﴿من زار عالما فكانما زارني ومن صافح عالما فكانما صافحني ومن جالس عالما فكانما جالسني ومن جالسني في الدينا اجلسه الله معي يوم القيامة في الجنة﴾، وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ماعبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد﴾، وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين﴾، وفي حديث يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء، وروي العلماء يوم القيامة على منابر من نور، ونقل القاضي حسين بن محمد في أول تعليقه أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿من أحب العلم والعلماء لم تكتب

عليه خطيئة أيام حياته﴾، قال وروي عنه صلى ا لله عليه وسلم قال ﴿من أكرم عالما فكأنما أكرم سبعين نبيا، ومن أكرم متعلما فكأنما أكرم سبعين شهيدا﴾، وأنه قال ﴿من صلى خلف عالم فكأنما صلى خلف نبي، ومن صلى خلف نبي فقد غفر له﴾، ونقل الشرماحي المالكي من أول كتابه نظم الدرر عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال ﴿من عظم العالم فكأنما يعظم ا لله تعالى ومن تهاون بالعالم فانما ذلك استخفاف با لله تعالى وبرسوله﴾، وقال على كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لايحسنه ويفرح إذا انسب إليه، وكفى بالجهل ذما ان يتبرأ منه من هو فيه، وقال بعض السلف خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل، وقال أبومسلم الخولاني العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها، وإذا خفيت عليهم تحيروا، وقال أبو الأسود الدؤلي ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك، وقال وهب يتشعب من العلم الشرف وان كان صاحبه دنيا، والعزوان كان مهينا، والقرب وان كان قصيا، والغنى وان كان فقيرا، والمهابة وان كان وضيعا، وقال الفضيل بن عياض عالم معلم يدعي كبيرا في ملكوت السموات والأرض، وقال سفيان بن عينة ارفع الناس عند ا لله منزلة من كان بين ا لله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء، وقال أيضا لم يعط ا لله احدا في الدنيا شيئا أفضل من النبوة، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه، فقيل عمن هذا؟ قال عن العلماء الفقهاء كلهم، وقال سهل من ارد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك، وقال الشافعي ان لم يكن الفقهاء العاملون أولياء ا لله فليس لله ولي، وعن سفيان الثوري والشافعي رضي ا لله عنهما ليس بعض الفرائض أفضل من طلب العلم، وعن أبي ذر وأبي هريرة رضي ا لله عنهما قالا باب من العلم

نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعا، وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل به أحب إلينا من مئة ركعة تطوعا.

وقد ظهر بما قلناه ان الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية، من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك، وذلك لان نفع العلم يعم صاحبه والناس والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها، ولان العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه ولايتوقف هو عليها، ولان العلماء ورثة الأنبياء وليس ذلك للمتعبدين، ولان طاعة العالم واجبة على غيره فيه، ولان العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه، وغيره من النوافل ينقطع بموت صاحبها، ولان في بقاء العلم احياء للشريعة وحفظ معالم الملة.

فهذا جزء يسير من فضائل العلم جلبته تذكرة وتبركا ثم قال:

واعتن بان تفهم كل مسألة ... حفظتها فذاك وصف الكملة

فالحفظ للعلم بدون الفهم ... ككتب فوق الحمير البهم

(ش) أمر الناظم، طالب العلم بفهم ماكتبه وحفظه واخبر بان الحفظ للعلم بدون الفهم لايجدي نفعا وضرب له مثالا فقال ككتب البيت... قال الله جل جلاله ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفرا﴾ الآية، ففي روح البيان الحمار حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم: هو اكفر من الحمير أي اجهل لان الكفر من الجهالة فالتشبيه لزيادة التحقيروالاهانة والتهكم والتوبيخ بالبلادة إذ الحمار يذكر بها.

تعلم يافتى فالجهل عار ... ولايرضى به إلا حمار

إلى ان قال وفي هذا تنبيه من الله على انه ينبغي لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم مافيه ويعمل به ليلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء إلى أن قال

ثم ان في الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهي من الصفات الطبيعية البهيمية فمن ابدلها بالعفة نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من العلماء الغير العاملين ان اعينهم تدور على الحرام ومع مالهم من النكاح يتجاوزون إلى الزني لعدم اصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فان الشريعة اقوالهم لا اعمالهم واحوالهم نسأل الله تعالى العصمة مما يوجب المقت والنقمة انه ذو المنة والفضل والنعمة.

فينبغي للطالب ألا يكتب شيئا لايفهمه فان يورث كلالة الطبع ويذهب الفطنة ويضيع الاوقات وينبغي ان يجتهد في الفهم عن الاستاذ بالتأمل والتفكر وكثرة التكرار فانه إذا قل السبق وكثر التكرار والتأمل يدرك ويفهم فقد قيل: حفظ حرفين خير من سماع وقرين وفهم حرفين خير من حفظ وقرين، وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فينبغي ألا يتهاون في الفهم بل يجتهد ويدعوا الله تعالى ويتضرع له فانه يجيب من دعاه ولايخيب من رجاه وللشيخ حماد بن ابراهيم بن اسماعيل الصفار رحمه الله املاء للقاضي الخليل بن أحمد:

اخدم العلم خدمة المستفيد	وأدم درسه بعقل حميد
وإذا ما حفظت شيئا أعده	ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كي تعود إليه	وإلى درسه على التأبيد
وإذا ما امنت منه فواتا	فانتدب بعده لشيء جديد
مع تكرار ماتقدم منه	اعتناء بشأن هذا المزيد
ذاكر الناس بالعلوم لتحيا	لاتكن من أولي النهي ببعيد
ان كتمت العلوم أنسيت حتى	لاترى غير جاهل وبليد
ثم الجمت في القيامة نارا	وتلهبت في العذاب الشديد

ولابد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة، فينبغي ان يكون بالانصاف والتأمل ويتحرز عن الشغب والغضب فان المناظرة والمذاكرة مشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والانصاف ولايحصل بالغضب والشغب لأن المناظرة لاتحل إلا لاظهار الحق، وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار لأن فيها التكرار وزيادة فقد قيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن إذا كان مع منصف سليم الطبيعة وإياك والمذاكرة مع متعنت غير مستقيم الطبع فان الطبيعة متسرية والاخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة.

وينبغي لطالب العلم ان يكون متأملا في جميع الاوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك فانه ماتدرك الدقائق إلا بالتأمل ولهذا قيل: تأمل تدرك ولابد من التأمل قبل الكلام حتى يكون صوابا فان الكلام كالسهم فلابد من تقويمه بالتأمل قبل الرمي حتى يكون مصيبا.

قال في أصول الفقه هذا أصل كبير وهو ان يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمل وقيل رأس العقل ان يكون الكلام بالتثبيت والتأمل.

قال القائل:

أوصيك في نظم الكلام بخمسة ... ان كنت للموصى الشقيق مطيعا

لاتغفلن سبب الكلام ووقته ... والكيف والكم والمكان جميعا

ويكون مستفيدا في جميع الاحوال والاوقات من جميع الاشخاص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها﴾، وقيل خذ ماصفا ودع ماكدر، وقيل لأبي يوسف رحمه الله بما ادركت العلم،

قال: ما استنكفت على الافادة وما بخلت بالافادة، وقيل لابن عباس بما ادركت العلم، قال بلسان سؤول وقلب عقول.

وينبغي لطالب العلم ان يكرر سبق الامس خمس مرات وسبق اليوم الذي قبل الامس اربع مرات والسبق الذي قبله ثلاث مرات والذي قبله مرتين والذي قبله مرة واحدة، فهذا أدعى إلى الحفظ وينبغي الا يعتاد المخافته في التكرار لأن الدرس والتكرار ينبغي ان يكون بقوة ونشاط ولايجهر جهرا يجهد نفسه كي لاينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها.

وحكي ان أبي يوسف رحمه الله كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوة ونشاط وكان صهره عنده يتعجب من أمره ويقول: أنا اعلم انه جائع منذ خمسة أيام ومع ذلك يناظر بقوة ونشاط.

وينبغي ألا يكون لطالب العلم فترة فإنها افاته وكان شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يقول إنما فقت شركائي باني لم تقع لي فترة في التحصيل، وكان يحكي عن شيخ الإسلام الاسبيجاني انه وقع له في زمان تحصيله وتعلمه فترة اثنتى عشر سنة بانقلاب الملك فخرج مع شريكه في المناظرة إلى حيث يمكنهما الاستمرار في طلب العلم وظلا يدارسانه معا اثنتى عشر سنة،

ثم قال (ص) العلوم الضرورية

(ص) واعن بحسن الخط والانشاء فذ ان زينة لدى الاكفاء

(ش) أمر حمه الله بالاعتناء بتعلم حسن الخط والانشاء واخبر انهما زينة لدى أي عند الاكفاء ومفهومه انهما عند الاحتياج حرفتان مهمتان وهما كذلك، قال الشاعر:

تعلم قوام الخط ياذا التأدب ولازم له التعليم في كل مكتب
فان تك ذا مال فخطك زينة وان تك ذا فقر فافضل مكسب

لأن علم الخط والكتابة من منن الله على الإنسان فيجب شكر تلك النعمة بتقويم الحروف وتعظيمها وتحسينها وبكتب ماينفعك أيها الكاتب في أخراك ولأن العلم لايحصل إلا بالكتابة وإذا كان الخط حسنا ينيق القاريء ويعينه على الفهم والقراءة، فقد قيل الخط الحسن يزيد الحق إيضاحا قال الله جل جلاله اظهارا لتلك المنة العظيمة ﴿الذي علم بالقلم﴾، ففي روح البيان مانصه وفيه امتنان على الانسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل (العلم صيد والكتابة قيده)، وقيل:

وما من كاتب الاسيبلي ويبقى الدهر ماكتبت يداه
فلاتكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة ان تراه

ولولا القلم ما استقامت أمور الدين والدنيا.

ثم قال عاطفا على ماقبله:

(ص)واحرص على النحو فهو السلم لكل علم تبتغيه الأمم

(ش) ثم أمر المتعلم أيضا أن يحرص على علم النحو وأخبر بأنه هو السلم لجميع العلوم لأنه جمال الألسنة وكمال العلماء وبه تعرف معاني الكتابة والسنة النبوية

وبه يخاطب الله عباده في الجنة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أحب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿تعلموا العربية وعلموها للناس فانها لسان الله الذي يخاطب به عباده يوم القيامة﴾، وهو أي النحو علم بأصول مستنبطة من إستقراء كلام العرب يعرف به اواخر الكلم اعرابا وبناء موضوعه الكلمة العربية من حيث يبحث فيها عن الاعراب والبناء وفائدته معرفة صواب الكلام من خطئه وغايته الاستعانة على فهم كلام الله ورسوله والاحتراز عن الخطأ في الكلام.

وجاء النحو في اللغة لمعان خمسة، احدها القصد يقال نحوت نحوك أي قصدت قصدك، ثانيها المثل يقال مررت برجل نحوك أي مثلك، ثالثها الجهة يقال توجهت نحو البيت، رابعها المقدار يقال عندي نحو ألف أي مقدار ألف، خامسها القسم يقال نحو هذا اعلى اربعة انحاء أي أقسام، وقد جمع ذلك بعضهم في قوله:

نحونا نحو دارك ياحبيبي وجدنا نحو ألف من رقيب
وجدناهم عواة نحو كلب تمنوا منك نحوا من شريب

وجمعها أيضا من قال:

والنحو في اللغة قصدا صل وجهة قدر وقسم مثل

وسبب تسمية هذا العلم بالنحو ماقيل أن أبا الأسود الدؤلي قال: دخلت يوما على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه فرأيته مطرقا متفكرا، فقلت فيما تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: اني سمعت بهذه البلدة لحنا فاردت ان اصنع كتابا في أصل العربية، فقلت ان فعلت هذا يا أمير المؤمنين احييتنا وبقيت هذه اللغة فينا، ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلى صحيفة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله إسم وفعل وحرف، فالإسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بإسم ولافعل والفاعل مرفوع وماسواه فرع عليه والمفعول منصوب وماسواه فرع عليه والمضاف إليه مجرور وماسواه فرع عليه. وقال انح لهم هذا النحو يا أبا الأسود واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة، ظاهر ومضمر وما ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاوت فضل العلماء في معرفة ماليس بظاهر ولا مضمر و لله در القائل:

النحو قنطرة الأدب هل احد … يجاوز البحر الا بالمناقير

لو تعلم الطير ما في النحو من أدب … حنت وانت إليه بالمافير

ان الكلام بلا نحو يحسنه … نبح الكلاب وأصوات السنانير

ولبعضهم:

قدم النحو على الفقه فقد … يبلغ النحوى بالنحو الشرف

اما ترى النحوى في مجلسه … كهلال بان من تحت الشغف

يخرج الألفاظ من فيه كما … يخرج الجوهر من بطن الصدف

ثم قال رحمه الله:

(ص)واكسب علوم العقل بالتمكين … من بعد تصحيح اعتقاد الدين

(ش) ثم أمر رحمه الله بكسب علم العقل وهو علم باحوال القلوب وذلك ان يعرف الشخص ان للقلب اخلاقا محمودة فيفعلها واخلاقا مذمومة فيتباعد عنها، أما المحمودة فكالتوكل على الله تعالى والاخلاص له سبحانه والحمد والشكر على النعم والتوبة من المعاصي والخوف والرجاء والزهد والصبر والمحبة والرضى بالقضاء وذكر الموت، وأما المذمومة فكالحرص على الطعام والشراب وكراهية الجوع مع ان فيه فوائد منها صفاء القلب وفيه ذل النفس وكسر الشهوات وزوال النوم المانع من العبادة وكالحرص على الكلام فيما لايغني لأن للسان

أفات كثيرة والغالب عليه منها الغيبة والكذب والمدح والمزاح والغضب والحسد والبخل وحب الجاه وحب الدنيا والكبر والعجب والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب وقد اشار الشيخ عبد الواحد بن عاشر إلى ذلك كله، فقال في المذمومة يطهر القلب من الرياء البيت، وقال في المحمودة ويتحلى بمقامات اليقين البيتين.

ولذا قال الناظم:

بالتمكين أي من مقامات اليقين ... وهذا من بعد تصحيح اعتقاد الدين

كما قال والاعتقاد هو علم التوحيد وهو أن يعرف الشخص أن له إلها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ليس كمثله شيء، وان يعرف أن له ملائكة وهم عباد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون لايأكلون ولايشربون، وان يعرف أن له رسلا أرسلهم إلى الخلق أولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين، وأن شريعته باقية إلى يوم القيامة، وأن يعرف ان سؤال منكر ونكير حق والنشر والحشر حق والجنة والنار حق والحساب حق والميزان حق والصراط حق، وأن يعرف أن القدر خيره وشره من الله تعالى ولايجري شيء في الوجود إلا بإرادته ومشيئته إلى غير ذلك من الإعتقاد، ثم قال:

(ص)واجعل علوم الشرع خير المقتنى ... وخذ حماها ملجئا مستأمنا

(ش) أي وإذا أتقنت علم التوحيد وعلم أحوال القلوب فاجعل علوم الشرع أفضل مدخر بان تشتغل بها وتتوسع فيها وتلجأ إلى حماها حال كونك مستأمنا فان خيرما اقتناه الإنسان العلوم الشرعية، وإذا اردت ان تعرف العلوم الشرعية فهي معرفة الاحكام المشروعة في دين الله على لسان نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكل مايتعين عليك فعله فالواجب عليك أحكامه لتؤديه على

حقيقته كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من أنواع العبادات والمعاملات والمناكحات.

وأفضل العبادات الصلاة لأن العبادات إما قلبية كالإيمان والتفكر والتوكل والصبر والورع والزهد ونحوهما، وإما بدنية كالاسلام والصلاة والصوم والحج... والقلبية أفضل من البدنية وأفضل القلبية الإيمان ولايكون إلا واجبا وقد يكون تطوعا بالتجديد وأفضل البدنية الصلاة كما تقدم لأنه اجتمع فيها ماتفرق في غيرها من ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة وتسبيح ولبث وطهارة وستر عورة واستقبال وترك أكل وشرب وغير ذلك وزادة بالركوع والسجود ونحوهما.

واعلم ان اعضاءك كالأغنام السايبة وأنت راعيها وقد رعت في أودية المعاصي فتجمعها في وقت الصلاة بين يدي الله تعالى فإذا اقمت بين يدي مولاك سبحانه وتعالى وإذا كبرت فقد اذعنت بأن الكبرياء والعظمة له سبحانه وتعالى وإذا ركعت فكأنك قلت يارب رقبتي لك وأنا عبدك وثقل المعصية انقض ظهري فاطرحه عني وإذا سجدت فكأنك تقول عفرت وجهي بالتراب تائبا خاضعا لك فإذا قمت للصلاة فاجتهد في تطهير قلبك وتذكر في قيامك انك واقف بين يديه كوقوفك يوم العرض عليه سبحانه وتعالى وإذا كبرت بلسانك فلايكذبك قلبك وإذا كان فيه شيء كبير سوى الله فاطرحه عنك ويكفينا في فضيلة الصلاة ماروي أنه سئل البخاري ماتقول فيمن لايصلي فنكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه فقال للسائل لاتظن أني فعلت ذلك عجزا عن جوابك ولكن نظرت بقلبي في كتب شرائع الإسلام وعرضت القرآن من أوله إلى اخره هل أجد لتارك الصلاة مدخلا في الإسلام فما وجدت ان من ترك الصلاة متعمدا

يكون مسلما، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لأداء ما افترض علينا على وجه يرضيه آمين. قال الناظم رحمه الله:

(ص) أداب المتعلم ومعاشرة الاخوان

(ش) ذكر في هذه الترجمة مايطلب من المتعلم من الآداب في أوقات التعلم وكيفية معاشرته مع اخوانه ومايطلب من الملاطفة ومراعة الأدب فقال:

(ش) ثم من الاسباب للنجاح هجرك للضحك وللمزاح
لاسيما في ساعة التعلم فذاك وقت الأدب المحتم

(ش) أخبر رضي الله عنه أن أسباب النجاح أي الفتح للطالب هجر أي ترك الضحك والمزاح واكد ماتجب المحافظة على الآداب في أوقات التعلم فعلى الطالب ان يلقي سمعه ويجمع ذهنه وان يترك التلاعب والضحك الذي هو القهقهة بصوت لانه من افعال ضعفاء العقول ولانه يميت القلب اللهم إلا إذا ادلى الاستاذ باضحوكة فليكن الضحك تبسما فذاك ضحك سيد الوجود الذي يجب الاقتداء بأقواله وأفعاله، قال سيدي محمد بن سعيد البوصيري:

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاعفاء.

وان يترك المزاح والهزل فإنه يزري بالمرؤءة، فقد قيل لاتمازح الشريف فيحتقرك ولا السفيه فيجترىء عليك، ولان المزاح يقسي القلب والقلب الميت والقاسي بعيد من الله بعيد من الحكمة، قال الله تعالى ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او لقي السمع وهو شهيد، انك لاتسمع الموتى﴾، وما يذكر إلا اولو الألباب، سيذكر من يخشى، وهل يخشى الله من قلبه غافل أو ميت، الجواب لا،

قال الشاعر:

لقد اسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لاحياة لمن تنادي
ونارا لو نفخت بها لضاءت ... ولكن انت تنفخ في الرمادي

ولآخر:

إذا قسي القلب لم تنفعه موعظة ... كالأرض ان سبخت لم ينفعها المطر

فعلم من هذا أن الفتح منوط بالآداب وضده مما يزري بالمروءة معوق الأسباب وا لله يهدي من يشاء إلى طريق الخير والصواب، ثم قال رضي ا لله عنه.

(ص)وخفضك الصوت مع السكون ... من آداب المدرسة المسنون
فرافع الصوت مسيء المدرسة ... مشارك إبليسه في الوسوسه

(ش) أخبر رضي ا لله عنه ان من آداب المدرسة خفض الصوت مع الثبوت والسكون وان رفع الصوت من سوء الآداب، فيجب على التلميذ اطراق الرأس وغض البصر وخفض الصوت لقوله تعالى ﴿يايها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول ا لله أولئك الذين امتحن ا لله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾، وقد علمت مما تقدم ان العلماء هم ورثة الشارع وانه اقام العلماء مقام نفسه فقال من زار عالما فكأنما زارني إلخ، وان إذايتهم تتعدى إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وإذا احتاج إلى سؤال ساله بلين وحياء وكلام منتخب محسن فإن حسن السؤال نصف العلم قال صاحب السراج:

واجمع ذهينك ودع كل كسل وعن عويصة المسائل فسل
ولتسئلنه بلطف واداب دون تعنت بلفظ منتخب
بعد تمامه لتقرير المقال عسى تنال منه من غير سؤال
واستعطفنه إذا ما أعرضا عنك لأمر مشغل قد عرضا
واصحب دواتك وقيد ماشرد هذا الذي عن المشايخ اطرد
وان سكت لحيا أو كبر تبقي على جهلك طول العمر

أما من ساء الأدب مع الأشياخ فجزاؤه الحرمان ففي شرح الحكم عند قول المصنف من جهل المريد ان يسيء الأدب فتوخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء اداب لقطع الامداد وواجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر ولو لم يكن الا منع المزيد فقد يقام مقام البعد وهو لايدري ولو لم يكن الا أن يخليك وما تريد بعد كلام مانصه قال أبوعبد الله بن خفيف قال لي رويم: يابني اجعل علمك ملحا وادبك دقيقا، وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما ساء احد الاداب ظاهر إلا عوقب ظاهرا وما اساء احد الادب باطنا إلا عوقب باطنا، وقال ذو النون المصري رضي الله عنه إذا خرج المريد عن حد الاداب فانه يرجع من حيث جاء، وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن إلى قليل من الادب احوج منا إلى كثير من العلم.

والاداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه واداب الظاهر تبع لاداب الباطن واداب الباطن هو التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق﴾، فقال ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، ولايحصل ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأديبه إلا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله رضي

ا لله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها... إلخ، ما جلبه رضي ا لله عنه فليطالعه من أراد استقصاء ذلك فان فيه من الفوائد ما لايستغنى عنه مريد.

قلت وكذا كل مايطلب تعظيمه فسوء الادب يحرم خيوره لقول ا لله عز وجل ﴿ومن يعظم حرمات ا لله فهو خير له عند ربه﴾ الآية، فتعظيم ورثة الشارع والكتب والمساجد وكبار الأولياء ومحلات الذكر وأضرحة الأنبياء والصالحين من تعظيم حرمات ا لله، إذا تمهد هذا فالبذيء الرافع الصوت غير معظم لحرمات ا لله ولذا قال الناظم مشارك إبليسه في الوسوسة نعوذ با لله من مشاركة إبليس وأعوانه.

قال الناظم:

(ص) وعاشر الاخوان بالمسالمه ... واللطف والاحسان في المكالمة

وكن لهم اخا شفوقا ناصحا ... وان اسؤوا فلتكن مسامحا

واغد لديهم صاحبا نجيبا ... مكرما معظما حبيبا

(ش) الاخ في اللغة المشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في غير ذلك اما أمر الناظم للتلميذ بقوله وعاشر الاخوان فالمراد به اخوانه التلاميذ أو المريدون الطالبون لما طلب الذين هم قاصدون ماقصده من التعليم أو الوصول إلى ا لله تعالى وهاته الاخوة معنى الاخوة في ا لله التي هي من السبعة المنجية من أهوال يوم القيامة ففي الصحيح عنه صلى ا لله عليه وسلم ﴿سبعة يظلهم ا لله في ظله يوم لاظل إلا ظله منها، ورجلان تحابا في ا لله أجتمعا عليه وتفرقا عليه﴾ الحديث.

فعلى التلميذ ان يعاشر اخوانه المذكورين بالتودد والاحسان واللطف والشفقة والنصح وغض الطرف عن زلاتهم وكظم الغيظ عن جفائهم إلى غير ذلك مما اشتمل عليه كلام الناظم من مكارم الأخلاق، قال صلى الله عليه وسلم ﴿للمسلم على المسلم ست إذا لقيه يسلم عليه وإذا دعاه يجيبه وإذا عطس فحمد الله يشمته وإذا مرض عاده وإذا مات شيعه ويحب له مايحب لنفسه﴾ هذا قاله صلى الله عليه وسلم في حق المسلم فما بالك بالاخوة ثم اعلم ان المودة والاخوة والزيارة سبب التألف والتألف سبب القوة والقوة سبب التقوى والتقوى حصن منيع وركن شديد بها يمنع الضيم وتنال الرغائب وتنجح المقاصد.

وقد من الله على قوم وذكرهم نعمته بان جمع قلوبهم على الصفاء وردهم بعد الفرقة إلى الالفة والاخاء فقال تعالي ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا﴾ أي متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق، قال الشاعر:

تغافل عن الاخوان من كل زلة ... وإياك والتبصير في زلة الاخ

وكن راحم المسكين وصل رحمه ... وإياك ان تبدو له بالتبلخ

وإياك والتقصير فيما احبه ... وساوي زمان العسرفي ذلك والرخ

وداوم على تقوى الإله وعلمه ... تفز وتنل مما رجوت بخ بخ

ويقال المرء كثير بأخيه ولاخير في صحبة من لايرى لك من الحق مثل مثل ماترى له، وقال خالد بن صفوان اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وقال علي رضي الله عنه: الغريب ليس له حبيب، وقالوا يهنأ العيش بصحبه أهل الوداد وبذلك يسر المرء بين العباد،

ولبعضهم:

من لم يعش بين اقوام يسر بهم فدهره ابداهم واحزان
فاخبث العيش ماللنفس فيه اذى خضر الجنان مع الاعداء نيران
واطيب العيش ماللنفس فيه هوى سم الخياط مع الاحباب ميدان

غيره:

رحب الفضاء مع الاعداء ضيقة سم الخياط مع الاحباب ميدان

فليس الغريب غريب الاوطان إنما الغريب غريب الاقران، ولبعضهم:

وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها وا لله من عدم الشكل

وقيل من لم يرغب في ثلاث بلي بست من لم يرغب في الاخوان بلي بالعداوة والحرمان، ومن لم يرغب في السلامة بلي بالندامة والامتهان، ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران، فمن كان له أخ صديق فليكن أشد ضنا منه بنفائس أمواله، قال الفرزدق:

يمضي اخوك فلاترى له خلفا والمال بعد ذهاب المال يكتسب

وقد قيل الرجل كل الرجل من عرف الزمان ودرب أهله بالميزان وعاملهم بقدر بضائع عقولهم وحدثهم بقدر فهمهم ومحصولهم وانشدوا:

زماني كل حب فيه خب وطعم الخل خل لو يذاق
له سوق بضاعته نفاق فنافق فالنفاق له نفاق

يعني نفاق المدارات بلطائف العبارات وقد ارشدنا إلى ذلك المسيح العليم في كتابه الحكيم في قوله لهارون وموسى الكليم عليهما أفضل الصلاة وأزكى التسليم في معاملة فرعون الرجيم ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾، ففيه ارشاد لأعيان الأمة وعلماء الملة إلى مدارات الغوات والظلمة

وذلك لان فرعون كان من الملوك الجبابرة ومن عادتهم أن يزدادوا عتوا إذا خوشنوا بالوعظ فاللين عندهم أنفع وأسلم كما أن الغلظة على العامة أوفق حكمة وأشد دعوة.

واعلم ان كلا من اللين والخشونه يمدح به طورا ويذم به تارة اخرى بحسب اختلاف السبب والاشخاص والمقام وعليه يحمل قوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿لاتكن مرا فتعفى ولا حلوا فتسترط﴾، يقال اعفيت الشيء إذا ازلته من فيك لمرارته واستراطه ابتلاعه ومن امثال العرب لاتكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر وذلك لان خير الامور اوسطها وقد قال المأمون: الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لايستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج إليه أحيانا وطبقة كالداء يرغب في دفعه ومن كان كالدواء فليس باخ بل هو عدو وإنما يعامل بالمودة دفعا لشره وتحرزا من مكاشفته وقد قيل:

وكم من يد قبلتها عن ضرورة　　　وكان مرادي قطعها لو أمكن

وقال أبوبكر الخوارزمي لاخير في حب لاتحتمل اقذاؤه ولايشرب على الكدر ماؤه وإنما العشرة بمجاملة والمجاملة لاتسع الاستقصاء والكشف ولاتحتمل الحساب والصرف، قال الشاعر:

ومن لم يغض عينه عن صديقه　　　وعن بعض مافيه يمت وهو عائب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة　　　يجدها و لم يسلم له الدهرصاحب

غيره:

إذا أنت لم تصبر على الذم من أخ　　　بقيت فريدا لم تجد من تقاربه

وان أنت لم تشرب مرارا على القذى　　　ظمئت واي الناس تصفوامشاربه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها　　　كفى المرء نبلا ان تعد معائبه

وقال الثعالبي ينبغي ان يكون الصديق لصديقه اسمع من خادم واطوع من خاتم، وقيل لابن السماك واسمه محمد بن صبيح أي الاخوان أخلق ببقاء المودة قال: الموافر دينه الوافي عقله الذي لايملك على القرب ولاينساك على البعد إن دنوت منه دعاك وان بعدت منه رعاك ان استغت به عضدك وان احتجت إليه رفدك وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر يسير المودة من صديقه، وقال جعفر الصادق للصداقة خمسة شروط فمن كانت فيه فانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلاتنسبوه إلى شيء منها وهي ان يكون زين صديقه زينته وسريرته له كعلانيته وان لايغيره عليه مال وان يراه أهلا لجميع مودته فلايسلمه عند النكبات، قال الشاعر:

أحب من الاخوان كل مواتي   وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يوافقني في كل أمر أريده   ويحفظني حيا وبعد مماتي
ومن لي به باليت اني وجدته   اقاسمه مالي من الحسناتي

وقال اعرابي: اصحب من ينسى معروفه ويذكر حقوقك عليه، وقال اخر: أصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته وأصابتك خصاصة مانك وإذا رأى منك حسنة عدها وإذا عثر على سيئة سدها لاتخاف بوائقه ولاتختلف عليك طرائفه، قال الشاعر:

ان اخاك الحق من كان معك   ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك   شتت فيك شمله ليجمعك

وقال أبوتمام:

من لي بإنسان إذا اغضبته   وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صبوت إلى المدام شربت من   اخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصبو للحديث بطرفه   ويقلبه ولعله ادرى به

وقال الثعالبي: صديقك من يرضى خلتك ويسد زلتك، ويقال صديقك من ساعدك في اطوارك وقدوم سعيه في قضاء اوطارك، وقال الخليل بن أحمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسألة ومخرج العذر قبل العتاب، وقالوا الستر لما عاينت احسن من اذاعة ماظننت، قال الشاعر:

إذا شئت ان تدعي كريما مهذبا حليما صديقا ماجدا كريما حرا
إذا مابدت من صاحب لك زلة فكن انت محتالا لزلته عذرا

وقالوا لتكن معونتك اخاك بمهجتك عند البلاء أكثر من معونتك له عند الرخاء، وقالوا اجعل حسنات اخيك محسوبة وسيئاته إلى الزمان منسوبة، وقالوا من علامات الصديق ان لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا، قالوا ليس من الحب ان تحب من يبغض صديقك، قال الشاعر:

وليس يكون المرء سلم صديقه إذا لم يكن حرب العدو المخالف
غيره إذا صفا ودك من تعادي فقد عادك وانفصل الكلام

وقالوا يجب على الصديق ان يحتمل لصديقه ثلاث مظالم: ظلم الغضب وظلم الحب وظلم الخطأ، وقالوا إذا صح الود سقطت شروط الادب، ويقال إذا صح الاعتقاد بطل الانتقاد.

ثم اعلم ان الاخوة امر مسنون من لدن النبي صلى الله عليه وسلم فانه آخى بين المهاجرين والانصار قاله في روح البيان وفيه قال علي كرم الله وجهه ست من المروءة ثلاث في الحضر وثلاث في السفر، فأما في الحضر فتلاوة كتاب الله عز وجل وعمارة مسجد الله واتخاذ الاخوان في الله، وأما التي في سفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معاصي الله، وقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ﴿اكثروا من الاخوان في الله فإن الله حي كريم يستحي ان يعذب احدا بين اخوانه﴾، وقال علي كرم الله وجهه المرء كثير بأخيه، وقال أيضا عليكم باخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعصمة في البلاء، وقال زياد خير ما اكتسب المرء الاخوان فإنهم معونة على حودث الزمان وشركاء في السراء والضراء وله كرم الله وجهه:

عليك باخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثير ألف خل وصاحب وان عدوا واحدا لكثير

وقال المغيرة التارك الاخوان متروك ويقال الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين.

قال الشاعر:

وما المرء إلا باخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
ولاخير في الكف مقطوعة ولاخير في الساعد الاجذم

إنتهى من كتاب نعت البدايات بتقديم وتأخير، وفقنا الله للاتباع وجنبنا الابتداع وكثر اخواننا في الدين وجعلنا من التابعين لسنة سيد الأولين والاخرين آمين يارب العالمين.

قال الناظم:

(ص) الأخلاق الفاضلة للإنسان ومساويها

(ش) أي هذا باب الأخلاق الفاضلة أي الكريمة التي يستحق المدح من اتصف بها من الأدميين وسمي الآدمي إنسانا لتأنسه أو لاستئناسه وقوله ومساويها أي وبيان مساويها أي قبائحها، وقد بالغ الناظم في ذكر المساوي ولم يذكر من المحاسن إلا قليلا وعليه فلنذكر نبذة من أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم، كان صلى الله عليه وسلم أورع الناس وأزهد الناس وأعف الناس وأبعدهم عن مواطن الريب، وكان صلى الله عليه وسلم اقنع الناس باليسر من الدنيا وايسرهم بلغة، كان يكفيه العلقة من الطعام والكف من الحشف، وكان يستحي إذا دخل الخلاء حتى يتقنع بردائه من شدة حيائه، وكان يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة، وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل الفضل عل إختلاف درجاتهم بل طبقاتهم، ويتألف أهل الشر بالإحسان إليهم، وكان لايقطع على أحد حديثه ولايجفو على أحد بكلام ولاغيره ولو فعل مايوجب الجفاء، وكان صلى الله عليه وسلم لايجزيء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ولم يكن له إناء يختص به عن خدمه وإمائه بل كان يأكل معهم في إناء واحد تواضعا وتشريعا للمتكبرين من أمته، وكان صلى الله عليه وسلم مقبلا على عبادة ربه ليلا نهارا لايمضي له وقت إلا في عمل طاعة الله عز وجل أو فيما لابد منه مما يعود نفعه عليه وعلى المسلمين ويحطب ثم يحمل الحطب إلى بيته تواضعا منه صلى الله عليه وسلم، وكان صلى الله عليه وسلم أرحم خلق الله على الإطلاق وأشفقهم على دين أمته، وكان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم أنه ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيده عليهما شبه الحبوة، وكان صلى الله عليه وسلم يجلس حيث إنتهى به المجلس حتى أنه لم يكن يعرف من بين أصحابه، وكان صلى الله عليه وسلم

أكثر جلوسه إلى القبلة ويقول هو سيد المجالس، وكان صلى الله عليه وسلم يكرم كل داخل عليه ويؤثره بالوسادة التي تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يقبلها وربما بسط صلى الله عليه وسلم ثوبه ورداءه لمن لم يكن بينه وبينه معرفة ولاقرابة يجلسه عليه تألفا لقلبه، وكان لايدخر عن الضيف شيئا بل يخرج إليه كل ماوجد، وكان ربما لم يجد مايكرمه به فيصير يعتذر إليه تطيبا لخاطره، وكان كثيرا مايخرج إلى بيوت أصحابه من غير دعوة ويتفقدهم إذا إنقطعوا عن مجلسه وإذا راى عند أحدهم جفاء أرسل إليه بهدية، وكان يعطي كل من جلس إليه حظه من البشاشة حتى يظن أنه أكرم عليه من جميع أصحابه، وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام سمح المقالة يعيد الكلام مرتين ليفهم عنه، وكان كلامه كخرزات النظم، وكان يكنى عن الأمور المستقبحة في العرف إذا أضطره الكلام إلى ذكرها ويعرض عن الكلام القبيح، وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للأكل كالعبد فيجمع بين ركبتيه وبين قدميه، كما يجلس المصلي، وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا مايقول أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، وكان صلى الله عليه وسلم لايستكبر عن إجابة الأمة والمسكين يقول لبيك ولايغضب لنفسه وإنما يغضب إذا أنتهكت حرمات الله تعالى، وكان صلى الله عليه وسلم لايؤذي من يؤذيه ولايتكلم فيما لايعنيه ولايذكر أحدا بغيبة ولايشمت بمصيبة، وكان إذا بالغ أحد في إذائه صبر وأحتمل و لم يقابله بنظيره وربما قال رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، وكان صلى الله عليه وسلم يكره من يبلغه السوء عن أصحابه ويقول لاتبلغوني عن أصحابي إلا خيرا فإني بشر أغضب كما يغضب البشر وإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر، وكان إذا راى أحدا يفعل مالا يليق لايبادر إلى الإنكار عليه ولكن يثبت وينظر فإن راءه جاهلا علمه برفق ورحمة

كما في قصة الأعرابي الذي دخل المسجد وبال فيه فإنه نهى أصحابه أن يزعجوه من بوله وقال إنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين فلما فرغ الأعرابي من بوله كلمه بخفض صوت وقال إنما جعلت المساجد للصلاة و لم تجعل للبول.

وقال صلى ا لله عليه وسلم للرجل الذي ارتعد من هيبته هون عليك يا أخي فلست بملك ولاجبار وإنما أنا ابن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد، وكان صلى ا لله عليه وسلم مع أصحابه على مايريدون ويحبون فإن تكلموا في أمر الآخرة تكلم معهم أو في أمر الدنيا تكلم معهم أو في طعام أو شرب تكلم معهم رفقا بهم وإستمالة لخواطرهم فكان هينا لينا صلى ا لله عليه وسلم، وكان صلى ا لله عليه وسلم لايزجر أصحابه إلا عن حرام أو مكروه فهذه نبذة من أخلاقه صلى ا لله عليه وسلم، شرحا للأخلاق الفاضلة التي أشار لها المنصف ينبغي للمؤمن أن يتخلف بها وا لله يهدينا إلى سواء السبيل آمين وفي روح البيان مانصه قيل أوحى ا لله إلى عيسى عليه السلام ان كن للناس في الحلم كالأرض تحتهم وفي السخاء كالماء الجاري وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنهما يطلعان على البر والفاجر ثم قال (ص) ولاتكن وحشا مسيئا ضاري، تكره في السر وفي الجهار.

(ش) نهى رضي ا لله عنه عن ضد الاخلاق الفاضلة فقال ولاتكن وحشا أي لاتألف ولاتاتلف ولاتكن مسيئا أي ذا أعمال سيئة ضاري مأخوذ من ضراوة السبع أي صاحب عداء وظلم فإن صاحب هذه الأخلاق الذميمة تنفر منه الطباع ولذا قال تكره في السر وفي الجهار أي أن من قام به هذا الوصف السيء تكرهه النفوس سرا وجهرا لسوء خلقه قال صلى ا لله عليه وسلم سوء الخلق شؤم وشراركم اسواءكم خلقا، هـ. ثم قال (ص) ﴿ولاتكن فظا غليظ القلب، مستثقلا لدى نفوس الصحب﴾.

(ش) الواو حرف عطف ولا ناهية وتكن مجزوم بها وفظا إلى آخره معطوف على وحش والمعنى لاتكن أيها الفتى فظا أي صعب القول والفعل غليظ القلب أي قاسيه قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ولو كنت فظا غليظا القلب لانفضوا من حولك﴾ الآية، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿لافقر أشد من الجهل ولامال أعز من العقل ولا وحشة أشد من العجب﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿الإقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم﴾ هـ، فمن كان فظا غليظ القلب استثقلته نفوس الأصحاب كما قال لان الهين اللين تحبه النفوس طبعا والغليظ الخشين المتكبر يداري فقط، وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿شر الناس من أكرم إتقاه شره﴾، وقال محمد بن أب رضي الله عنه أصحب أديبا يسر النفس مخبره، عليه من حسن سر العقل أثار، ودع ثقيلا يمح السمع منطقه، كأنه ثقلا في العين مسمار.

ثم قال المنصف رضي اللع عنه (ص) ولاتكن سخرية مهذارا، ولا أخا كذب ولامكثارا

(ش) الواو عاطفة وسخرية البيت معطوف على ماقبله أي لاتكن صاحب سخريه والسخرية هي إستحقار المسلم وإهانته قال تعالى ﴿يا أيها الذين أمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ الآية، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿حسب المرء من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه﴾ هـ، ورؤية الفضل على الغير ناشئة على الكبر وأني للبشر ان يتكبر وأوله نطفة وآخره جيفة، قال تعالى ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾، وقال تعالى ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار، وكيف ير نفسه أفضل من غيره وهو لايدري الخاتمة و لله در من قال﴾

ولاترين في الأرض دونك مؤمنا، ولا كافرا حتى تغيب في القبر، هـ.
وقوله مهذارا أي لاتكن كثير الهذر والهذر هو الكلام الساقط أو كثرة الكلام لغير منفعة كما في القاموس والنهي للكراهة ان كان الكلام مباحا لأنه من اضاعة العمر في الباطل فقد ورد ان كل كلمة يسأل عنها أربع سؤالات، الأول لم تكلمت بها، الثاني هل لاجعلت محلها ذكرا، الثالث ماذا نفعتك حين تكلمت بها، الرابع لو لم تتكلم بها ماذا يحصل لك من ضرر، هـ. فكل كلام فضول ماعدا كلمتين كلمة تصلح لآخرتك وكلمة تصلح لدنياك وهو محفوظ عليك ومحاسب به، قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون، ان كل نفس لما عليها حافظ﴾، وقال الجزولي جميع مايتكلم به الإنسان أربعة أقسام ماليس فيه إلا المضرة فيحرم وما فيه مضرة ومنفعة فكذلك لان مضرته ذهبت بمنفعته وما ليس فيه مضرة ولا منفعة فلاينبغي الإكثار منه لئلا يذهب العمر باطلا وما ليس قيه إلا المنفعة فهو المطلوب فثلاثة أرباع الكلام لاخير فيها والخير إنما هو في الرابع، هـ. وقال تعالى ﴿لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾، فجعل خيرات اللسان دائرة على هذه الثلاثة فحصر الشر بذكر الخير لانه يلزم من إنحصار النجوى التي فيها الخير بالأمور الثلاثة، أن يكون الشر منحصرا فيما سوى ذلك هـ، ابن حمدون هـ، اما ان كان الكلام حراما مثل الغيبة والنميمة وقول الزور إلى غير ذلك فالنهي للتحريم قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا﴾ الآية، وقال تعالى ﴿فإجتنبوا الرجس من الأوثان وإجتنبوا قول الزور﴾، وقال في ذم الخبيث الوليد بن المغيرة ﴿هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم﴾ الآية، ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ السورة،

وسيأتي بسط الكلام على الغيبة والنميمة في بيت، وجانب النميمة الرذيلة البيت، والحاصل أفات اللسان كثيرة وسيأتي بعضها إن شاء الله، لدى قوله وعذ بمولاك العظيم الشأن من عثرات القول باللسان هـ، قوله ولا أخا كذب ولا مكثارا أي لاتكن صاحب كذب والكذب هو الاخبار بالشيء على غيرما هو عليه في الواقع وهو محرم كتابا وسنة واجماعا أما الكتاب فقوله تعالى ﴿قتل الخراصون ويل لكل افاك اثيم﴾، ثم نبتهل منجعل لعنة الله على الكاذبين وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم ﴿أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان﴾ رواه البخاري، وقال وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، وقال في شرح الوغليسية واعظم الكذب الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بمنام أو غيره لقوله عليه الصلاة والسلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، وقال بعض العلماء هذا يدل على ان من كذب عليه صلى الله عليه وسلم لايموت مسلما ثم الكذب لتصييع حق المسلمين واذايتهم أي كالكذب في ثمن السلعة ليأخذ فوق معتادها والسعي للظالم بغير حق ثم الكذب على المنام، قال عليه الصلاة والسلام من تحلم بما لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد وكذلك الكذب بالنسب لحديث من ادعى إلى غير ابيه فالجنة عليه حرام وبعد هذا كله الكذب في حديث الناس وله مراتب لاتنحصر فليتتبعها من ارادها في كتب الأئمة ومن قطع الشجرة من أصلها بتركه جملة لايحتاج إلى نفصيل هـ، والاجماع على تحريمه هـ، قوله ولامكثارا أي لاتكن صاحب تكاثر أي تفاخر بالأموال والأولاد والرجال لما في ذلك من الشغل عن طاعة الله عز وجل فقد وعد الله سبحانه من تلبس بهذه الصفة بقوله ﴿الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ السورة، وفي الحديث الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا أي عن يمينه وعن شماله

وقليل ماهم هـ، ثم قال عاطفا على ماقبله (ص) ﴿ولاسفيها باسط النسان، بالشتم والايذاء للاخوان﴾.

(ش) أي ولاتكن صاحب سفه فان السفه من الأمور المذمومة شرعا، والسفه هو التبذير الذي نهى الله عنه بقوله عز من قائل ﴿ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطن وكان الشيطان لربه كفورا﴾، والتبذير هو صرف المال في غير وجه شرعي ولو قل اما صرفه في وجود البر فليس بتبذير ولو كثر فصرف دانق في غير حق تبذير وصرف مائة ألف دينار في وجه جائز ليس بتبذير هـ، ولقبحه كنى الله به عن النساء الناقصات عقل ودين، قال تعالى ﴿ولاتوتو السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما﴾ الآية، وقد يطلق على الكلام القبيح ولذا عبر الناظم بقوله باسط اللسان البيت أي بالسب والذم وغيره من الكلام القبيح، قال الله تعالى ﴿ولاتنابزوا بالألقاب بيس الإسم الفسوق بعد الإيمان﴾، وفي الحديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ﴿ياعلي حرم الله الجنة على كل فاحش بذيء لايبالي بما قال ولا ماقيل فيه﴾ هـ، وفي الصاوي لدى قول الله عزوجل سيقول السفهاء من الناس مانصه السفهاء جمع سفيه وهو من يجتنب المنافع ويتعلق بالمضار دنيوية أو دينية هـ، ثم قال (ص) **وجانب النميمة الرذيلة، والغيبة المذهبة الفضيلة**

(ش) جانب أي اترك النميمة الرذيلة أي القبيحة ففي الحديث النمام شر من الساحر وفيه ذو الوجهين لايكون عند الله وجيها وهو الذي يأتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقد بحث عن النمام فلم يوجد إلا ولد زنى وفي الصحيحين لايدخل الجنة نمام أي مع السابقين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من شراركم؟ قالوا الله ورسوله

اعلم، قال ذو الوجهين الذي يـأتي هـولاء بوجـه وهـولاء بوجـه، وقـال الحسـن البصري من نقل إليك حديثا فاعلم انه ينقل إلى غيرك حديثك.

قـال الشـاعـر:

عمـن ينـم القـــول صـــن ان كـنـت ممـــن يـعـقـــــل
كمـا غـــدا ينـقـــل عـــن غـــيرك عنـــك ينـقـــل

وروي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل عليه رجل فذكر عنه رجلا، فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك إن كنت كاذبا فأنت من أهـل هـذه الآيـة ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾، وإن كنت صادقـا فـأنت مـن أهـل هـذه الآيـة ﴿هماز مشاء بنميم﴾، وإن شئت عفونا عنك، فقال العفو يـا أمـير المؤمنـين ولا اعود لمثل ذلك هـ، وقوله الغيبة المذهبة الفضيلة أي أجتنـب الغيبـة المحرمـة كتابـا وسنة واجماعا فإنها تذهب الفضيلة أي المروءة، والغيبة ذكر الإنسان أخاه بما فيـه مما يكـره سـواء ذكـرت مافيـه بلفـظ أو كتابـة أو إشـارة بعـين أو يـــد أو رأس وضابطها كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة، والغيبة بالقلب محرمـة كهي باللسان وكما تحرم الغيبة على المغتاب يحرم استماعها واقرارها وهي تـأكل الحسنات كما تأكل النار الحطـب اليـابس ويكفـي في قبحهـا ماوصفهـا ا لله بـه بقوله تعالى ﴿ولايغتب بعضكم بعضـا ايحـب احدكـم ان يـأكل لحـم أخيـه ميتـا فكرهتموه﴾ الآية، وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى ا لله وسلم قـال ﴿ليلـة اسري بي مررت في السماء الدنيا يقوم يقطع اللحم مـن جنوبهـم ثـم يلقمونـه، فيقال لهم كلوا ماكنتم تأكلون من لحم إخوانكم، قلت ياجبريل من هولاء، قـال الهمازون من أمتك اللمازون، يعني المغتابين، وعن جابر ابن عبد ا لله قال هاجت ريح منتنة على عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال النبي صلـى ا لله عليـه وسلم ان ناسا من المنافقين قد اغتابوا اناسا من المؤمنـين فلذلـك هـاجت الريـح،

قال بعض الحكماء ان ريح الغيبة كان يظهر منتنا في عهد رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وليس ينتن في يومنا هـذا لأن ريح الغيبـة قـد كـثرت في يومنـا هـذا وامتلأت الأنوف فلم تؤثر الرائحة ويكون مثل هذا مثل رجل دخل دار الدباغين لايقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يـأكلون فيهـا الطعـام والشراب ولاتتبين لهم الرائحة لأنه قد إمتلأت أنوفهم فكذلـك رائحـة الغيبـة في يومنا هذا، قال كعب الاحبار قرأت في بعض الكتب ان من مات تائبا عن الغيبة كان أخر من يدخل الجنة ومن مات مصـرا عليهـا كـان أول مـن يدخـل النـار، وروي عن حاتم الزاهد انه قال ثلاثة إذا كن في المجلـس فالرحمـة عنهـم مصروفـة ذكر الدنيا والضحك والوقيعة في الناس هـ، فانا لله وإنـا إليـه راجعـون هـ، قـال الناظم

(ص) وكن نظيف الجسم والثياب معتـدل الطعـام والشـراب

(ش) أي وبعد ان تتخلى عن الرذائل كن على أكمل الحالات من نظافـة الجسـم والثياب أمر رضي ا لله عنـه بالنظافـة لأن ا لله نظيـف يحب النظافة ولأن نظافـة الظاهر تدل على نظافة الباطن ولانها تصحح الجسم والجسم الصحيـح لـه قـدرة على أداء العبادة ولان الثياب الحسـنة نـدب الشـرع إليهـا وانهـا ترفـع صاحبهـا بمجـرد الرؤيـة كمـا قيـل لباسـك يرفعـك قبـل جلوسـك وعلمـك يرفعـك بعـد جلوسك وفي الحديث ان رجلا قال للنبي صلى ا لله عليه وسـلم حين كـان يـذم الكبر يارسول ا لله اني ليعجبني نقاء ثوبي وشراك نعلي وعلاقة سوطي افهذا مـن الكبر، فقال صلى ا لله عليه وسلم ان ا لله تعالى جميل يحب الجمال ويحب إذا انعم على عبد نعمة ان يرى اثرها عليه هـ، قال الشاعر:

تـجـمـل بالـثـيـاب ولاتـبـالـي فـان العين قبـل الاختـبـار
فـلـوجـعـل الثـيـاب على حـمـار لقـال النـاس يالك من حـمـار

عـــيره:

حسـن ثيابـك ما استطعت فإنها زيـن الـرجـال بها تـعـز وتكـرم
ودع التخـشن في الثـياب تواضعا الله يـعـلـم مـاتـكـن وتكتـم
فـرثيث ثـوبـك لايـزيدك رفـعـة عـنـد الإلـه وأنت عبـد مـجـرم
وجـديـد ثـوبك لايضـرك بعد أن تـخـشـى الإلـه وتـتـقـي مايحرم

وروي أن الحسن البصري راى فرقدا وهو لابس كساء غليظا فاخذ بكسائه وجذبه وقال له يافرقد يابن أم فريقد ان البر ليس في لبس هذا الكساء إنما البر ماوقر في الصدور وصدقة العمل، وقال أبو الحسن الشاذلي لرجل انكر عليه جمال هيئته ياهذا هيئتي هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول اعطوني من دنياكم شيئا لله، وروي النسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا وعليه ثوب دون، فقال له هل لك من مال؟ فقال نعم، فقال من أي المال؟ فقال من كل ما أتى الله من الإبل والشياه، فقال كل ما أتلك الله من مال فليرى عليك أي كثر نعمته عليك فأظهر أثر نعمته بلسان المقال والحال ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾، ومن الناس من يقصد بالتجمل السلامة من إذاية الناس والتوصل إلى حقوقه معهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البزار بإسناد حسن ﴿اللهم أجعلني شكورا وإجعلني صبورا وإجعلني في عيني صغيرا وفي أعين الناس كبيرا﴾، قال المحقق ابن زكري في شرح الحكم وأي شيء يضر الإنسان كونه في أعين الناس كبيرا إذا كان عند نفسه صغيرا غاية الأمر يوفون حقوقه ولايظلمونه ولايؤذونه ولايحتقرونه فينجون منه وينجوا منهم ويخالطونه بسلامة الصدور، واسقاط الجاه ليس مطلوبا لذاته بل لما يتبعه من غلظ النفس أو لمايقع من الزيادة على مايحتاج إليه وإلا فلابد للإنسان من جاه مافي معاشه ليلاتبخس حقوقه وتنتهك حرمته اهـ، قال الشيخ جاسوس وحيث صار الناس إنما يعتبرون ظاهر

الصورة فلابأس ان يستعمل الإنسان من اللباس وغيره مايتوصل به إلى حقه ويسلم به من الاذابة، وقد أخذ بعضهم هذا من قوله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلايؤذنين﴾، أي لتتميز الأمة من الحرة عند الخروج اهـ.

وا لله اعلم، ثم قال:

لابد للمرء من جاه يعيش به   قد ضاع في الناس من لا عنده جاه
فالوقت قاض بذا ياصاح فأعن به   ينيلك العز في أمر ترجاه

وقال قبل هذا قال مالك رضي ا لله عنه أحب لطالب العلم ومثله العالم أو احرى ان يكون نقي الثوب حسن الهيئة اهـ، وخصوصا في هذا الزمان الذي قل فيه الخيرات وكثرت الأشرار وصار مطمح الناس للصورة الظاهرة لا للعلوم الفاخرة، وقد قال ناظم السراج في منظومته حديقة القضاة في آداب القاضي

وليك زاهدا عدا في الملبس   فليعن منه بالرفيع الانفس
لان للنفس انقياد للحسن   فاسمع ومن عينيك فاطرد الوسن

قلت وذلك صحيح حسن إذا خلصت النية فيه لان اقامة الهيئة الجليلة للأئمة والقضاة وولاة الأمور من المتعين بحسب الوقت والمكان بسبب ان المصالح والمقاصد لاتحصل إلا بعظمة الولاة في نفوس الناس، وذلك في زمن الصحابة إنما كان بالدين وفيما بعدهم إنما يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها لتصلح المصالح، وقد كان عمر رضي ا لله عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة في كل يوم لعلمه بأن الحالة التي هو عليها لو عملها غيره لهان في نفوس الناس و لم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج إلى أن يضع غيره في صورة تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد سيدنا معاوية بن أبي سفيان قد أتخذ

الحجاب والمراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك مسلك الملوك فسأله رضي الله عنه ذلك، فقال له أنا بأرض قوم نحن فيها محتاجون إلى هذا، فقال له لا أمرك ولا أنهاك، ومعناه أنت أعلم بحالك هل أنت محتاج إلى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج فيكون ترفعا، وهذا في زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قال ابن عباد في زمنه الفقيه في هذا الوقت لو لم يحسن الناموس ويتحلى بالانقباض والعبوس، ويلتزم هيئة مستحسنة في الملبوس، لم يسمع أحد منه فتوى، ولاقيل له دعوى، وإن كان في علم مالك بن أنس مثلا اهـ، ومثله للعلامة بن زكري في شرح همزيته إنتهى بإختصار من شرح السراج ببعض زيادة ونقص وتأخير وتقديم اهـ.

وقوله معتدل الطعام والشراب... أي لاتفرط في الشبع ولا في الجوع لأن الشبع يورث النوم والكسل والإضرار بالبدن ويذهب الفطنة، قال الحكماء لاتأكل إلا بعد جوع وإذا أكلت فارفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الادواء واصل كل داء البرده﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿أفضلكم عند الله منزلة أطولكم جوعا وتفكرا وأبغضكم إلى الله كل نوام أكول شروب﴾، وقال صلى الله عليه وسلم ﴿سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الأشربة ويلبسون ألوان الثياب ويشتدقون في الكلام أولئك شرار أمتي﴾ رواه الطبراني.

وقال صلى الله عليه وسلم ﴿أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة﴾ رواه ابن ماجه، وذكر الغزالي رضي الله عنه في الاحياء ان الأكل على الشبع يورث البرص، وقال سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي رضي الله عنه:

في شبع المرء من الحلال عشرة من أقبح الخصال
من ذاك قسوة القلوب وهي داهية للناسكين دهيا
ومنه اسراع الجوارح إلى عصيان رب الناس واهب الألا
ومنه ضعف الفهم ان الطنه كما أتى مذهبة للفطنة
ومنه اغراء النفوس بالكسل حتى ترى النعاس أحلى من عسل
ومنه فقد لذة العبادة وذاك داء من يصب ابادة
ومنه انه يرى ذريعة لاكل ماحرمت الشريعة
ومنه شغل القلب والأبدان بجمعه من شاسع ودان
ومنه فاعلم اشتداد السكرات عند الممات وحلول الغمرات
ومنه نقصان الثواب الباقي فيتخلف عن السباقي
ومنه طول الحبس والوقوف يوم الحساب الهائل المخوف إلخ

مابين في نصيحته رضي الله عنه من الأضرار والعلل فلله دره عالما ففي نصيحته من الوعظ والارشاد مايكفي أهل الألباب هـ، وعليه فينبغي التوسط فان خير الأمور أوسطها ففي الافراط في الشبع ماعلمت وفي الافراط في الجوع الضعف عن القيام بالواجب هـ، ثم قال (ص):

وامش الهوينا مشية الوقار بلا التفات موجب الانكار

(ش) المشي الهوينا هو المشي بسكينة ووقار مع الثبات وعدم الالتفات وتلك مشيته صلى الله عليه وسلم قال البصيري.

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء وقال ابن القيم كان إذا مشى تقلع والتقلع الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية أولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء فكثير من

الناس من يمشي دفعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه تدل على قلة عقل صاحبها لاسيما إذا كثر فيها الالتفات هـ، فقد مدح الله تعالى أقواما بمشية أولي العزم وذم آخرين بضدها فقال جل ذكره ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ الآية، وقال ﴿ولاتمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ الآية.

ثم قال (ص) **آداب المدرسة**

(ش) أي هذا باب في احكام مايطلب من قاصد المدرسة من الاداب، لان النفع منوط به فقال رضي الله عنه ءآمرا قاصد المدرسة بمسائل تطلب منه

(ص) واغد إلى المدرسة الكريمه مبكرا في غاية العزيمه

(ش) أغد أي اذهب والمدرسة موضع الاقراء ووصفها بالكريمة لكونها تكرم المتعلم بنيل العلم ومبكرا حال من ضمير أغد أي اذهب إلى المدرسة حال كونك مبكرا في غاية العزيمة لان العلم لايحصل إلا للمجد المشتاق قال ابو الطيب

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وذاك لأن الرأس في تحصيل الأشياء الجد والهمة العالية فان المرء يطير بهمته كالطير يطير بجناحه فلابد لطالب العلم من الهمة العالية والمواظبة على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره فان مابين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك وقد قيل:

طالب العلم باشر الورعا وجنب النوم واترك الشبعا
داوم على الدرس لاتفارقه فالعلم بالدرس قام وارتفعا

فعلى طالب العلم ان يغتنم أيام الحداثة وعنفوان الشباب كماقيل

بقدر الكد تعطى ماتروم ... فمن رام المنى ليلا يقوم
وأيام الحداثة فاغتنمها ... إلا ان الحداثة لاتدوم

وللشافعي رضي ا لله عنه:

الجد يدني كل أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
واحق خلق ا لله بالهم امروء ... ذو همة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وحكمه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق.
ولكن من رزق الحجا حرم الغنى ... ضدان بفترقان أي تفرق هـ

ولبعضهم:

تمنيت ان تسمى فقيها مناظرا ... بغير عناء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة ... تحملها فالعلم كيف يكون

وقيل اتخذ اليل جملا تدرك به املا ولبعضهم

من شاء ان يحتوي امله جملا ... فليتخذ ليله في دركها جملا
اقلل طعامك كي تحظى به سهرا ... ان شئت ياصاحبي ان تبلغ الكملا

ولبعضهم:

يانفس يانفس لاترخ عن العمل ... في البر والعدل والاحسان في مهل
فكل ذي عمل في الخير مغتبط ... وفي بلاء وشؤم كل ذي كسل

غيره:

دع نفسي التكاسل والتواني ... والافاثبتي في ذي الهوان
فلم ار للكسالى الحظ يعطى ... سوى ندم وحرمان الاماني

غيره:

كم من حياءوكم عجزوكم ندم ... جم تولد للإنسان من كسل
إياك عن كسل في البحث عن شبه ... فما علمت وماقد شذ عنك سل هـ

وقد قيل الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله فينبغي للمتعلم ان يبعث نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم فان العلم يبقى ببقاء المعلومات والمال يفنى كما قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه

رضينا قسمة الجبار فينا — لنا علم وللجهال مال

فان المال يفنى عن قريب — وان العلم باق لايزال

وقيل:

لئن فاقني في المال كل معاصر — فقد فقته والحمد لله في العلم

فان الذي عندي وراثة الأنبياء — وماعندهم ارث الفراعنة الصم

ولبعضهم:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله — فاجسامهم قبل القبور قبور

غيره:

أخو العلم حي خالد بعد موته — واوصاله تحت التراب رميم

وذوالجهل ميت وهو يمشي على الثرى — يعد من الاحياء وهو عديم

ولشيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله:

ذو والعلم أعلى رتبة في المراتب — ومن دونه عز العلى في المواكب

فذو العلم يبقى عزه متضاعفا — وذوالجهل بعد الموت تحت التيارب

فهيهات لايرجو مداه من ارتقى — رقي ولي الملك والي الكتائب

ساملي عليكم بعض مافيه فاسمعوا — فبي حصر عن ذكر كل المناقب

هو النور كل النور يهدي عن العمى — وذوالجهل مر الدهر بين الغياهب

هو الذروة الشماء تحمي من التجا — إليها ويمشي إمنا في النوائب

به ينتحي والناس في غفلاتهم — به يرتجى والروح بين الترائب

به يشفع الإنسان من راح عاصيا | إلى درك النيران شر العواقب
فمن رامه رام المئارب كلها | ومن حازه قد حاز كل المطالب
هو المنصب العالي فياصاحب الحجا | إذا نلته هون بفوت المناصب
فإن فاتك الدنيا وطيب نعيمها | فغمض فإن العلم خير المواهب

والحاصل لابد ثم لابد من الجد والمواظبة والملازمة لطالب العلم وإليه الاشارة في القرآن الكريم بقوله تبارك وتعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾، وقوله تعالى ﴿يايحى خذ الكتاب بقوة﴾، وقد قيل من طلب شيئا وجد وجد ومن قرع الباب ولج ولج وقيل بقدر ما تتمنى تنال ماتمنى وقيل يحتاج في التعليم والتفقه إلى الجد ثلاثة المتعلم والأستاذ والأب ان كان في الأحياء... ثم نبه على مافي البكور من الخيرات والبركات فقال:

(ص) ففي البكور بركات جمه | يمنحها : لله لهذي الأمة

(ش) أي في الذهاب إلى الحوائج بكرة بركات جمه أي كثيرة يعطيها ا لله لهذه الأمة المحمدية وهو يشير إلى حديث بكروا في طلب الحوائج ففي الجامع الصغير مانصه باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح ثم قال آمرا قاصد المدرسة بالتزين بالأداب (ص) وكن لدى المجيء والذهاب مزينا بحلة الاداب.

لاعاجلا لاصارخا لا لاعبا بل سالكا من الطريق الجانبا.

(ش) أي وإذا أتيت المدرسة أيها الطالب فكن لدى أي عند مجيئك وذهابك مزينا أي متحليا بحلل الاداب بان تمشي الهوينا بسكينة ووقار غاضا الطرف عما لايحل لك فيه النظر سالكا من الطريق الجانب الايسراى الايسر لمرورك والمعنى اذهب في طرف الطريق لا في وسطها لمايعرض لمن ذهب متوسطا من المصادمة

ونحوها لاعاجلا في مشيتك كالخشبة المحمولة ولاصارخا كالحماق الجهلة ولا لاعبا كضعفاء العقول والمجانين بل كن في مجيئك وذهابك متحليا بحلة الادباء الذين تقدمت الاشارة إليهم بقوله ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ الآية، ومعنى هونا أي بسكينة وتواضع وإذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه قالوا سلاما أي قولا يسلمون فيه من الإثم إلى قوله ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾، والغرفة الدرجة العليا في الجنة بما صبروا على طاعات الله هـ، من تفسير الجلالين هـ، فالناظم رضي الله عنه أمر الطالب ان يتخلق بخلق هؤلاء ونهاه عن حالة الجهلة والمترفين الذين يتوسطون الطريق مرحين متكبرين هـ، ثم قال:

(ص) واعلم بان الناس في انتقاد	لكل شخص رائح أو غاد
لاسيما من ينتمي للعلم	فنقده لديهم كالحتم

(ش) اخبر رضي الله عنه بانه لايسلم احد من الناس من معارض ومنتقد وخصوصا طالب العلم فإن شياطين الانس لايزالون له بالمرصاد ليلتمسوا منه فرصة يفسدون عليه فيها اعماله واعتقاده وعليه فليحذر طالب العلم كل الحذر من مخالطة اراذل الناس فان مخالطتهم مصيبة عظيمة وقد تقدم قول الشاعر لاتصحب الكسلان في حالته إلخ، وقال الشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي:

واحرص على العزلة مهما اسطعتا	وان تسر من دونها انقطعتا
فخلطة الناس أخي عقال	والقيل لازم لها والقال
فدعهم ترحهم وتسترح	فقل من خالطهم ثم ربح
واقطع إذا رمت العلا العلائق	وادفع بجنة التقى العوائق

وفي احياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله في اداب المتعلم مانصه رابعا أن يحترز الخائض في العلم في مبدإ الأمر عن الاصغاء إلى إختلاف الناس عليه فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع هـ، قال المصنف

(ص) آداب التلميذ بين أسرته وفي منزله

(ش) أي هذا باب مايطلب من التلميذ في بيته وبين اسرته أي من المحافظة على الآداب ومكارم الأخلاق واداب الأكل إلى غير ما اشتمل عليه الباب، قال رضي الله عنه:

(ص) وكن من الكمال في ازدياد　　　في بيتك للخالي من النقاد

(ش) كن فعل امر والمأمور التلميذ والمعنى كن أيها التلميذ في بيتك على حالة كاملة محمودة ادبية في جميع حركاتك وسكناتك مع أهل بيتك وفي أكلك وشربك ولاتقل هذا بيتي ولا من ينتقد علي فيه فإنك ان لم تحافظ على الادب في الخلوة وتهذب نفسك وترويضها عليه حتى يكون مطبوعا فيها لم تقدر على الاتيان به حال التعلم والجلوس في المحافل ثم قال (ص)

سلم على وليك المكرم　　　وقبلن راحته واحتشم
وقف لديه وقفة المؤدب　　　وإلتزم الجلوس فوق الركب

(ش) أي وإذا دخلت البيت فسلم على من فيه وخصص والديك ومن يطلب احترامه بتقبيل اليد مع ادب واطراق رأس وخفض صوت وقف لديه كوقوفك بين يدي المؤدب وإذا جلست فاجلس على ركبتك كجلوسك للصلاة والمعلم هـ، فان الشرع رغب في تقبيل يد من يجوز له التواضع ففي الصحيح أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ابتدروا يديه ورجليه وفي

سنن البيهقي ان عائشة رضي ا لله عنها قالت مارايت احدا كان اشبه كلاما وحديثا من فاطمة برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وكان إذا دخل عليها رحبت به وقامت وأخذت بيده فقبلتها وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقام إليها وأخذ بيدها وقبلها واجلسها في مجلسه وإلى ذلك اشار الشهاب الخفاجي فقال:

قبل يد الخيرة أهل التقى ... ولاتخف طعن اعادهم
ريحانة الرحمن عباده ... وشمها لثم اياديهم

ثم قال رضي ا لله عنه:

(ص) ثم إذا ماقدم الطعام ... فكن غلاما عنده احتشام
وابتديء الاكل ببسم ا لله ... واختم بذكر الحمد للإله
ولاتعب أي طعام قدما ... بل كن شكورا للذي قد انعما

(ش) أي وإذا وضع الطعام فكن على أكمل الاداب مع احتشام وانكسار وجلوس ينبيء عن الشكر وابتديء الأكل ببسم ا لله وصغر اللقمة وكل مما يليك ولايكن انتظارك دائما إلى القصعة لان ذلك يدل على النهمة ولا إلى من يقسم اللحم على فرض وجوده وكل بثلاثة أصابع ففي الفية السيرة (يأكل بالأصابع الثلاثة، يلعقها بقصدي ذي البركة).

يبدأ بسم ا لله ثم يختم ... بالحمد في شرب واكل يطعم
يشرب في ثلاثة انفاسا ... يمص فهوا هناء اخلاسا
لم يتنفس في الإنا إذيشرب ... يبينه عن فيه فهوا طيب

ولاتأكل بشره ولاتكثر الاكل ففى الصحيح المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء وفي القسطلاني مانصه ونقل القاضي عياض عن

أهل التشريح ان أمعاء الإنسان سبعة، المعدة ثم ثلاثة بعدها متصلة بها البواب والصائم والرقيق وهي كلها رقاق ثم ثلاثة غلاظ الأعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر ونظمها الشيخ أبوالفضل عبد الرحيم العراقي قال:

سبعة أمعاء لكل آدمي	معدة بوابها مع صائم
ثم الرقيق أعور قولون مع	المستقيم مسلك المطاعم

وفي الصحيح أيضا ان سيدنا عبد الله بن عمر أكل معه رجل كثير الأكل، فقال لاتدخلوا علي مثل هذا وفيه ان رجلا كان في الجاهلية يأكل أكلا كثيرا فأسلم فصار يأكل أكلا قليلا هـ، فالحديث يحذر من كثرة الأكل لما فيه من الاضرار بالبدن والدين هذا وقد تقدم ان أصل كل داء البرده وعليه فارفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه وقل الحمد لله الذي أطعمني وكفاني فقد ورد أن من قال في أول الطعام بسم الله وفي اخره الحمد لله لم يحاسب عليه، ولاتعب أي طعام قدم إليك بل كن شكورا للذي انعم عليم من غير حول منك ولاقوة فهذه سنة نبيك صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح لم يعب صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وإلا تركه وفيه من شكر النعمة فقد قيدها بعقالها ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها ومن شكرها المحافظة عليها وصرف قوتها في طاعات الله وفقنا الله جميعا لأداء الشكر بمنه آمين هـ، ثم نبه على مسائل تعين من نظر فيها بقلب سليم على آداء الشكر فقال رحمه الله

(ص) فربما كسرة خبز تشترى	في يوم جوع بنضار احمرا
وكم نفوس في البرايا معدمه	ماعندها مما لديك سمسمه
وكم مريض زائد البلاء	اعجزه الداء عن الغذاء

(ش) اعتبر يامن له قلب سليم بماوقع لمن مضى وانظر فيما وقع لبعض أبناء جنسك وتأمل فيما لربما يقع لك في المستقبل فلربما يأتي عليك يوم جوع تحتاج فيه لكسرة خبز ولاينفعك فيه المال على فرض وجوده لديك فليتك وجدت حينئذ كسرة خبز بدينار من ذهب، ومن هذا القبيل ماوقع لبعض الملوك انه باع جميع مايملك بشربة ماء وخروجها ومنه أيضا ماوقع لسيدنا ذي القرنين حين حبسته ملكة الصين في مطمورة لايعرف الليل فيها من النهار فبقى فيها ثلاثة أيام لايأكل ولايشرب فلما كان اليوم الرابع مدت ملكة الصين سماطا نحو مائة ذراع ووضعت فيه اواني الذهب والفضة والبلوار وملات أواني الذهب باللؤلؤ والزبرجد وأواني الفضة بالدر والياقوت الأحمر والأصفر وأواني البلوار بالذهب والفضة وما في ذلك شيء يؤكل إلا أنه مال لايعلم قدره إلا الله تعالى وامرت فوضع في أسفل السماط صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة ماء وأمرت باخراج الاسكندر واجلسته على رأس السماط فنظر إليه فابهره ذلك واخذت تلك الجواهر ببصره ولم ير فيه شيئا للأكل ثم نظر فراى في أدنى السماط إناء فيه طعام فقام من مكانه ومشى إليه وجلس عنده وسمى وأكل فلما فرغ من أكله شرب من الماء قدر كفايته ثم حمد الله تعالى وقام وجلس مكانه أولا فخرجت عليه فقالت له ياسلطان بعد ثلاثة أيام اما صدعنك هذا الذهب والفضة والجوهر سلطان الجوع وقد اغناك عن هذا كله ماقيمته درهم واحد فمالك والتعرض إلى أموال الناس وأنت بهذه المثابة هـ، ويرحم الله ابن الوردي إذ قال ملك كسرى تغني عنه كسرة وعن البحر اجتزاء بالوشل واذكركم نفوسا عادمة لعشر مالديك كما قال ماعندها مما لديك سمسمة اراد بالسمسم القلة ففي المنجد السمسم نبات يستخرج من حب السيرج الواحدة سمسمة الجلجلان هـ، واذكركم مريضا زائد البلاء عافانا الله وإياك لديه من النعم أكثر مما لديك

واعجزه الداء عنها إذا تأملت هذا بعين سالمة تجد نعما لاتحصى هـ، وفي روح البيان مانصه روي أنه شكى بعض الفقراء إلى واحد من السلف فقره واظهر شدة اهتمامه به فقال ايسرك انك اعمى ولك عشرة ألاف درهم، فقال لا، فقال ايسرك انك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون ألف درهم، فقال لا، فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الف، قال لا، فقال اما تستحي انك تشكو مولاك وعندك عروض بأربعين ألف، ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء وهو يشربه فقال عظني، فقال لو لم تعط هذه الشربة إلا بتبديل جميع أموالك وإلا بقيت عطشانا، فهل كنت تعطيه؟ قال نعم، فقال لاتفرح بملك لايساوي شربة ماء وان نعمة على العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الأرض كلها بل كل نفس لايستوي بملك الأرض كلها فلو أخذ لحظة حتى انقطع الهواء مات ولو حبس في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء ثقيل برطوبة الماء مات غما ففي كل ذرة من بدنه نعم لاتحصى إنتهى، ثم قال رضي الله عنه

(ص) شكر المنعم موجب للمزيد من النعم

(ش) ذكر في هذه الترجمة ان شكر المنعم موجب للمزيد يشير إلى قوله تعالى ﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾، وللحديث المتقدم ذكره وهو من شكر النعمة فقد قيدها بعقالها الحديث هـ، ثم قال مبينا لبعض مايجب الشكر عليه.

(ص) واشكر لمولاك على الوجدان ... للرزق والصحة للأبدان
وهكذا كن في جميع النعم ... ملتزما لشكر رب منعم

(ش) أي التزم الشكر لمولاك أي المتولى أمورك على وجدان الرزق والصحة وجميع النعم واعظمها العافية والشكر هو صرف العبد جميع جوارحه المنعم بها

عليه فيما يرضي المنعم في عموم الاوقات وهو المسمى بالتقوى والاستقامة كصرف البصر إلى النظر في الآيات للاعتبار وتعرف جلال الصانع وجماله ﴿إن في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات﴾، والسمع في تلقي الأوامر والنواهي للإمتثال هـ، ومن حاشية ابن حمدون في التصوف مانصه واما الشكر فهو كما قال الشيخ زروق فرح القلب بالمنعم لاجل نعمته حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح فينطق اللسان بالثناء وتسخر الاعضاء بالاعمال وترك المخالفة إلى ان قال وقد فهم من كلام الشيخ زروق أمران، الأول ان الشكر فعل الطاعة لامجرد اجتناب المعصية خلاف قول الجنيد الشكر ان لايعصي ا لله بنعمه، الثاني ان الشكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام شكر بالقلب وهو اعتقاد ان النعم كلها من ا لله ﴿ومابكم من نعمة فمن ا لله﴾، وشكر باللسان وهو الثناء على ا لله ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾، ومنه شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم من لم يشكر الناس لم يشكر ا لله اشكر الناس لله اشكرهم للناس، وشكر بسائر الجوارح وهو ان يعمل بها العمل الصالح قال ا لله تعالى ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾، وسأل رجل أبا حازم، فقال له ماشكر العينين، فقال له إذا رايت بهما خيرا اعلنته وإذا رايت بهما شرا سترته، قال فما شكر الأذنين، قال إذا سمعت بهما خيرا وعيته وإذا سمعت بهما شرا دفنته، قال فما شكر اليدين، قال لاتأخذ بهما ماليس لك ولاتمنع بهما حقا هو لله فيهما، قال فما شكر البطن، قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما، قال فما شكر الفرج، قال كما قال ا لله تعالى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ الآية، قال فما شكر الرجلين، قال ان رايت شيئا غبطته استعملتهما فيه وان رايت شيئا مقته كففتهما عنه وانت شاكر لله هـ، وقال الشاعر

إذا كنت في نعمة فارعها | فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله | فإن الإله سريع النقم
حلاوة دنياك مسمومة | فما تأكل الشهد الابسم
فكم قدر دب في مهلة | فلم يعلم الناس حتى هجم

هـ ثم قال:

(ص) فاشكر على المسكن واللباس | وانظر لمن دونك من الناس
(ص) لكن بنيل المجد فاغد ناظرا | لمن سما من العلا منابرا

(ش) هذا تفريع على قوله وهكذا كن في جميع النعم أي التي منها المسكن واللباس وقد فهمت معنى الشكر مما تقدم وقوله وانظر لمن دونك من الناس يشير إلى خبر (انظروا إلى من هو دونكم ولاتنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر الا تزدرو انعمة ا لله عليكم هـ) وللإمام الشافعي رحمه ا لله

إذا شئت ان تحي سعيدا فلاتكن | على حالة الارضيت بدونها
ومن يرد الاعلى من العيش لم يزل | حزينا على الدنيا كثير غبونها

وقوله لكن بنيل المجد البيت لكن حرف استدراك أي لكن ما أمرك به من النظر لمن هو دونك من جهة الدنيا أما من جهة الدين والهمة العالية فاغد ناظرا لمن سما أي إرتقى من العلا منابر لينبعث من جهة النعم الشكر ومن جهة الدين الغبطة المحسنة شرعا التي قال فيها صلى ا لله عليه وسلم ﴿لاحسد إلا في إثنتين رجل أتاه ا لله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل أتاه ا لله القرآن فهو يتلوه أناء الليل وأطراف النهار﴾، وفي رواية ﴿أتاه ا لله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس﴾ هـ،

ولبعضهم

من شاء عيشا حميدا يستفيد به | في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ادبا | ولينظرن إلى من تحته مالا هـ

(**فائدة**) ومما يعين على الشكر والزهد في الدنيا والصبر مافي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعظته لابن مسعود رضي الله عنه قال دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابي يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا يارسول الله نحن على هذا الحال مدة طويلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكروا الله تعالى فاني قرأت كتاب الله الذي انزل علي فما وجدت اول من يدخل الجنة إلا الصابرين، قال الله تعالى ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾، ﴿اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون﴾، ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾، ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾، ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾، فقلنا يارسول الله فمن الصابرون، قال الذين يصبرون على طاعة الله ويجتنبون معصيته، الذين كسبوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا فافلحوا واصلحوا، يابن مسعود سيماهم الخشوع والوقار والسكينة والتفكر واللين والعدل والاعتبار والتدبر والتقوى والاحسان والحب في الله والبغض في الله واداء الامانة والعدل ومعاونة أهل الحق والعفو عمن ظلم، يابن مسعود إذا ابتلوا صبروا، وإذا اعطوا شكروا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا عاهدوا أوفوا، وإذا أساؤا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، وإذا مروا باللغو مروا كراما، يبيتون لربهم سجدا وقياما، ويقولون للناس حسنا، يابن مسعود والذي بعثني بالحق ان هؤلاء هم الفائزون هـ. ثم قال:

(ص) علو الهمة وطلب الكمال

(ش) اشار في هذه الترجمة إلى معنى علو الهمة عن الرذائل وطلب الكمال بالتحلي بالفضائل، فقال رضي ا الله عنه آمرا لطالب العلم (ص) واعن بان تفخر بالكمال لابصفات ربة الحجال.

(ش) اعن فعل امر والمأمور المنتمي إلى العلم فالناظم رحمه ا الله امر التلميذ بأن تكون له همة عالية وان يفتخر بالكمال أي مكارم الأخلاق بأن يكون نزيها صبورا حليما غاضا الطرف عما حرم ا الله لايرد السيئة بالسيئة بل يعفو ويصفح لين الجانب ليس بفظ ولاغليظ ولاسخاب ولامتكبر ولاجبار ولاكذاب ولانمام ولامغتاب يستعمل اعضاءه فيما يرضي ا الله ويكفها عما يغضبه جل علاه لايغلبه الغضب ولا الشهوة فهو ملك كريم في صورة إنسان محسن رحيم، قال صلى ا الله عليه وسلم ﴿المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر مانهى ا الله عنه﴾ هـ، وقوله لابصفات ربة الحجال أي لايكن تفاخرك بالتزين بالحلي والحلل كصاحبة الحجال أي الخلاخل من حجلة المرأة إذا لبست الاحجال أي الخلاخل هـ، ثم فرع على ذلك فقال

(ص) مالفخر بالتصقيل للشعور	ولابتلوين ولا تعطير
ولابشوب مثمن مزين	ولابمطعوم ولا بمسكن ،
ما الفخر إلا باكتساب الشرف	وطلب العلم بجل الشغف

(ش) أي ليس الفخر بما ذكر من تصقيل الشعور واستعمال الطيب وليس الثياب الفاخرة والتنعم بالمأكولات والغرف العالية وإنما الفخر باكتساب الآداب ومكارم الأخلاق وطلب العلم بجد واجتهاد ولذا قال بجل الشغف

إذا الشغف غشاء القلب		ورحم الله ابن الوردي إذ قال

قيمة الإنسان مايحسنه		أكثر الإنسان منه أو اقل هـ

وهذا مأخوذ من قول علي كرم الله وجهه لكل شيء قيمة وقيمة المرء مايحسنه هـ، والمعنى ان رفعة الإنسان وشرفه على قدر مايحسنه أي يعرفه ويتقنه من العلوم والصنائع ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير ودل قوله تعالى ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾، على ان للكلب المعلم فضيلة على غيره من سائر الكلاب فالإنسان إذا كان له علم فأولى ان يكون له فضل على غيره وما أحسن ماقيل

فافخر بعلم ولاتجهل به ابدا		فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيمة المرء ماقد كان يحسنه		والجاهلون لأهل العلم أعداء

هذا بالنظر للحوادث واما بالنظر للمولى سبحانه وتعالى فان رفعة كل إنسان عنده على قدر الاعمال الصالحات كما قال تعالى ﴿وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون﴾، فان قيل قد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال ﴿لن يدخل الجنة أحدكم عمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل من عنده﴾ فالجواب عنه ان نفس الدخول لايكون بالاعمال وإنما هو بفضل الله ورحمته واما غير الدخول كالغرف والقصور والحور الولدان وغير ذلك مما اعده الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة فهو على قدر الاعمال الصالحات أكثر الإنسان منها أو أقل هـ،

ثم قال (ص) **أداب المعاشرة في المحافل وغيرها**

(ش) أي هذا باب في اداب معاشرة الاخوان أي المجالسة معهم في المحافل أي محل الاجتماعات وغيرها من محل المذاكرة والمناظرة إلى غير ذلك فقال

(ص) وكن لدى الجلوس في المحافل ملتزما وصف الاديب الكامل
(ص) بجلسة يحمدها اللبيب وهيئة يشكرها الاديب

(ش) كن فعل أمر لدى أي عند أي كن أيها الفتى عند جلوسك في محل الاجتماعات حال كونك ملتزما وصف الاديب الكامل بجلسة يحمدها اللبيب أي من الجلوس على ركبتيك كهيئة المتعلم أو رافعا احدى رجليك أو محتبيا ان حصل طول في المجلس أو اضضررت إلى ذلك لكن بأدب كامل مع احتقارك لنفسك وإياك ثم إياك الاضطجاع أو مد الرجلين بمحضر الناس أو في المسجد فإنه من سوء الادب وان سوء الادب يؤدي إلى الحرمان من خير الدنيا والآخرة سيما مع الأشياخ وأهل الفضل هـ، قال الناظم رحمه الله

(ص) إياك ان ترى لدى الخطاب ملتفتا أو مبدي اضطراب
أو مكثرا إشارة اليدين أو ناكرا أو غامزا بالعين
أو خافض الصوت عن المعتاد أو رفعا إياه بازدياد
أو اتيا بحركات مشعره بخفة او خنث أو مسخره

(ش) هذا تحذير من الناظم والتحذير هو تنبيه المخاطب على مكروه يجب الإحتراز منه، قال الشيخ ابن مالك إياك والشر ونحوه نصب محذر البيت والمعنى احذر أيها الفتى ان ترى أي يراك غيرك لدى أي عند الخطاب أو المناظرة ملتفتا فيحتقرك ويصد عنك وان كان يريد ان يمنحك بفائدة ردها أو عطية لم ينفذها لأنك عرضت عن خير المخاطبة والمناظرة وما اعرضت إلا حيث أخذ الشيطان

قلبك وإذا كان القلب بيد الشيطان فاني له ان يأخذ الحكمة هـذا وقـد قـالوا ان كثرة الالتفتات من علامة الوسواس نعـوذ بـا لله منه قوله أو مبـدي اضضـراب معطوف على ملتفتا والاضطراب هو حركة تعـرو الإنسـان لخفـة مشـوبة بحمـق واغلب مايكون في المتعنت الذي لايريـد إلا نصـرة كلامـه عنـد المنـاظرة فتجـده يرجف ويحمر ويصفر ويدب عن كلامه بمالا طائل تحته وهذا من الحمق الذي لا دواء له كما قيل

لكـل داء دواء يـسـتطـب بـــه إلا الحماقـة اعيت من يـداويهـا

قوله أو مكثرا إشارة اليدين معطـوف علـى ملتفتـا أيضـا أي أحـذر ان ترى مكثرا اشارة اليدين فانه يدل على نقصان العقل وعـدم الانصـاف أو نـاكرا أي إياك ان ترى ناكرا على غيرك كلامه بل اصغ إليه واسمع منه فان كان صوابـا فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث أصابها وان كـان غـير ذلـك فبـين لـه وجـه الصواب برفق ولين أو غامزا بالعين لتبدي نقصا في غيرك أو تعيب عليه قولـه أو فعله أو خافض الصوت عن المعتاد بحيـث لايفهـم مـاتقول أو رفعـا إياه بازديـاد بحيث يفهم منك اظهـار المغالبـة أو الحمـق، وقـدم قولـه فرافـع الصـوت مسـيء المدرسـة البيـت، قولـه أو أتيـا بحركـة مشـعره بخفـة الحركـة هـي أحـد أنـواع الاضطراب وقد تقدم معناه، والخنث هو تكسر في الكلام ولين في الاركان، ففي المصباح خنث الرجل كلامه بالتثقيل إذا شبهه بكـلام النسـاء لينـا ورخامـه هـ، قوله أو مسخره أي سخرية وهي استحقار المسـلم وإهانتـه وقـد نهـى ا لله عنهـا بقوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خـيرا منهم﴾ الآية، وقال صلى ا لله عليه وسلم ﴿بحسب امريء من الشر ان يحقر أخاه المسلم﴾ هـ، ثم قال الناظم

(ص) لاتقطعن كلام ذي الكلام ولاتمار الغير في الخصام

(ص) ولاتفه بكلمة حتى ترى موقعها مستحسنا محررا

(ش) لا ناهية وتقطعن مجزم بها أي لاتقطع على ذي الكلام كلامه بل أمهل حتى يتم كلامه اللهم إلا إذا أطال الكلام وكان لديك كلام مهم خشيت فوات محله أو نسيانه فاستأذنه بان تقول له سامحني يرحمك الله أو كلمة نحوها هـ، قوله ولاتمار الغير في الخصام معطوف على تقطعن أي ولاتمار تخاصمه فإن المرآء يذهب بالوقار فقد قالوا لاتمار الشريف فيحتقرك ولا السفيه فيجترى عليك، وقال الشيخ سيدي محمد بن أبي زيد وترك المراء والجدال في الدين هـ، قوله ولاتفه البيت معطوف أيضا على لاتقطعن أي ولاتنطق بكلمة حتى ترجعها إلى قلبك وتزينها بالميزان الشرعي فان كانت لك فانطق بها وإلا فاصمت تسلم، وهذا معنى قوله حتى موقعها محررا، وقال سيدي عبد الواحد بن عاشر ويزن الخاطر بالقسطاس هـ، ثم قال رضي الله عنه

(ص) وعذ بمولاك العظيم الشأن من عثرات القول باللسان

فربما عثرة ذي المقال تجني شرورا لم تكن بالبال

(ش) عذ فعل أمر والمأمور أيضا المنتمي إلى العلم فالناظم رحمه الله لما نهاك أيها التلميذ عن ان تفوه بكلمة حتى ترى موقعها مستحسنا محررا وكانت للسان عثرات كثيرة امرك ان تستعيذ بمولاك العظيم الشأن أي القدر من تلك العثرات والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والتحصن به أي إلتجأ لمولاك وتحصن به وأسأله ان يحفظك ويمنعك من عثرات اللسان فان عثرة اللسان اعظم من عثرة الرجل، قال الشاعر:

أمسك لسانك أيها الإنسان لايلدغنك انه تعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان
غيره يموت الفتى بعثرة من لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل هـ
غيره أمسك لسانك لاتقل فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق هـ

قلت وهذا يشير إلى حديث اورده صاحب الدر النثير والجامع الصغير ان النبي صلى ا لله عليه وسلم قال ﴿البلاء موكل بالمنطق﴾، وهو من جوامع كلمه صلى ا لله عليه وسلم لأن البلاء الديني والدنياوي إنما ينشأ عن اللسان وانشدوا

احفظ لسانك واستعذ من شره ان اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس فيه يلوح لك الصواب اللائح
والصمت من سعد السعود لمطلع يحيى به والنطق سعد ذابح اهـ

ولا آخر:

الصمت ابقى على الأرواح من كلم قد يترك المرء مقتولا ومكلوما

ولا أخر:

عليك بالصمت فكم ناطق كلامه اهدى إلى كلمه
ان لسان المرء اهدى إلى غرته وا لله من خصمه
يرى صغيرا الجرم مستضعفا وجرمه أكبر من جرمه اهـ

ولا آخر:

احفظ لسانك واعرف ماتقول به فكم لسان رمى بالرأس إذعثرا
وبالنهار التفت قبل الكلام وان نطقت ليلا فلاتجهر إذا جهرا
نطق اللسان سهام لاترد ومن يقوى على ردسهم فارق الوترا
الصمت حكم ولكن قل فاعله فانطق بخير أو اصمت ترتجى الاجر.اهـ

وقال شارح السراج:

إلزم الصمت تفقدن تعب القلب	وتحيا من الشرور سليما
لاتقل لي ان التكلم شاف	شجنا في الفؤاد اضحى مقيما
فادخار الاسرار سر تراه	اخر الامر للسرور مديما
ماكثير الكلام في الناس إلا	احمق اخرق يعيش ذميما
فزن اللفظ قبل نطقك فيه	ثم زنه وكن لبيبا حكيما
ثم قله ان كان فيه انتفاع	او فدعه ان كان مرعى وخيما
نخذ النصح من فتى طال ماقد	خبر الناس حادثا وقديما
فراي اليوم الاعتزال نجاة	وراي الصمت منهجا مستقيما اهـ

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿من كان يؤمن با لله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت﴾، وفي بعض الكتب قال لقمان عليه السلام خدمت اربعة ألاف نبي واخترت من كلامهم ثمان كلمات، إن كنت في الصلاة فأحفظ قلبك، وإن كنت في الطعام فأحفظ حلقك، وإن كنت في بيت الغير فأحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس فأحفظ لسانك، وأذكر إثنين وأنس إثنين، أما الذان تذكرهما فا لله والموت، واما الذان تنساهما فاحسانك في حق الغير واساءة الغير في حقك.

وقال القلشاني في شرح الرسالة يروي انه اجتمع قس بن ساعدة واكتم بن صيفي، فقال احدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب، فقال له اكثر من ان تحصى والذي احصيه منها ثمانية ألاف عيب ووجدت خصلة ان استعملها ستر العيوب كلها، قال ماهي؟ قال حفظ اللسان اهـ.

وقد نقل صاحب شرح السراج حكايات كثيرة في هذا الموضوع فليطالعه من شاء إنتهى.

قوله فربما عثرة ذي المقال البيت رب هنا للتكثير أي كثيرا ما اجنت عثرة اللسان شرورا لم تكن مستحضرة في البال وإنما كانت تلك العثرة هي سبب العداوة والبغضاء والشنئان والحاصل عثرات اللسان كثيرة منها مايؤدي إلى ماذكر ومنها مايؤدي إلى ذهاب الروح ومنها مايؤدي إلى الجلد ومنها مايؤدي إلى الكفر والعياذ با لله وفي الحديث ﴿وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم﴾ رواه الترمذي عن معذ وصححه وابن ماجه والحاكم، وفي الصحيح ﴿ان العبد ليتكلم بالكلمة لايلقي لها بالا فتبلغ من سخط ا لله مالا يظن﴾، وقال بعض السلف زلة الرجل عظيم يجبر وزلة اللسان لاتبقى ولاتذر، وقال أبوبكر لساني سبع ان اطلقته أكلني، وقال مالك كثرة الكلام تمج العالم وتذله وتنقصه ومن عمل هذا ذهب بهاؤه، وذكر في الاحياء من افات اللسان عشرين افة وانهاها في النصيحة إلى أربعين، قال ويستعان على حفظه بثلاثة أشياء، شغله بالذكر الدائم، والخلوة عن الخلق، وقلة الطعام هـ، ولقد أحسن من قال

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل إذا كنت خاليا مستريحا، (وإذا ماهممت بالغو في الباطن فاجعل مكانه تسبيحا، فالتزام السكوت أولى من النطق وإن كنت بالكلام فصيحا)، والقائل:

الحلم زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلاتكن مكثار

ما ان ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرار

ويكفينا قوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿من ضمن لي مابين لحييه ومابين فرجه ضمنت له الجنة﴾ هـ، قال رضي ا لله عنه

(ص)وأحذر من التفريط عند الغضب ... فغضب المرء أساس العطب

(ش) أي وأحذر إذا ما اغضبت من التفريط أي المبالغة في الغضب فإن الغضب جمرة من نار جهنم فالمرء في حال غضبه بعيد من الله قريب من الشيطان، وقد قال صلى الله عليه وسلم للذي اختصر له في الوصية ﴿لاتغضب﴾ وفي الصحيح ان رجلين تلاحافا حمر وجه احداهما وانتفخت اوداجه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فأخبره من كان حاضرا قول النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبي جنون؟ هـ، ولذا قال قال الناظم فغضب المرء أساس العطب، وقد قالوا إذا ابغضت فلاتفرط وإذا احببت فلاتفرط أي لاتجاوز الحد في البغض ولا في الحب وفي ذلك قيل:

أحبب حبيبك هونا ما ليلا يصير بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك هونا ما لئلا يصير حبيبك يوما ما هـ

وقد عقد صاحب قوت القلوب فصلا في دواعي الغضب، فقال فصل في دواعي الغضب والغيظ والأسباب المهيجة لهما ومباشرة الغضب والغيظ، قال العلماء الفقهاء الحكماء النجباء أرباب البصائر واليقين، الأسباب المهيجة للغضب والغيظ هي الكبر والعجب والهزل والعيير والممارات وشدة الحرص على فضول الدنيا والجاه وهي باجماعها صفات رديئة واخلاق مذمومة ولاخلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب، فلابد من إزالة هذه الأسباب بالإتصاف بأضدادها فينبغي ان يميت الكبر بالتواضع ويميت العجب بالمعرفة بنفسه ويزيل العجب بالجد في طلب الفضائل الدينية وتصحيح القصد في طلبها والعمل الصالح وتهذيب الاخلاق، وأما تعيير الناس فيزيله بالحذر عن الكلام الفحش وقول القبيح وصيانة اللسان عن سوء الخطاب، وأما شدة الحرص على فضول الدنيا فيزيله بالقناعة بقدر الضرورة ليصون نفسه عن ذل الحاجة، وأعلم ان آفات

الغضب عظيمة وكيف لاتعظم، آفاته وهو يحمل الجوارح الظاهرة على القتل والضرب والشتم وإطالة اللسان، ويحمل القلب على الحقد والحسد وإضمار السوء أو الشماتة والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث سم قاتل مهلك فعليك في كسر سورة الغضب بوظائف احداها ماتقدم من إزالة أسبابه بالإتصاف باضدادها، والثانية كسره في الرياضة ولست أعني بكسره إزالته من أصله فإنه لايزول أصله ولو زال فينبغي تحصيله فانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكرات وبه يحصل كثير من الخيرات، كان النبي صلى الله عليه وسلم لاينتصر لنفسه ولايغضب لها ولا للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه احد ولم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق، وأعلم ان الغضب كجارحة الصيد المار ناصيته في باديته حتى ينقاد للقتل والشرع ولايخرج عن حدودهما يهيج باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولايخالفهما كما ينقاد الكلب للصبيان، وهذا يمكن بالمجاهدة وهي اعتياد الحلم ولاحتمال، قال السرى رحمة الله عليه ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان، من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى باطل، وإذا اقدر لم يتناول ما ليس له، الثالثة ضبط الغضب عند الهيجان كالكظم، ويعين عليه علم وعمل أما العلم فيعلم أنه لاسبب لغضبه إلا أنه انكر ان يجري على مراد الله لا على مراده وهذا غاية الجهل وإلا من يعلم أن غضب الله عليه أعظم من غضبه وان فضل الله أكثر وكم عصاه وخالف امره فلم يغضب ان خلفه غيره فليس امره الزم على عبده وأهله ورقيقه من امر الله، واما العمل فهو ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن لم يسكن غضبه بذلك جلس إن كان قائما فإن لم يسكن فليتوضأ ورد بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، إنتهى وقد قال قبل هذا والغضب ينقسم إلى محمود ومكروه ومحرم، فالغضب لله

محمود وهذا كالغضب عند المشاهدة للمنكرات والفواحش غيرة على الدين وطلبا للإنتقام ولهذا مدح ا لله تعالى الصحابة بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، وقال تعالى ﴿لاتأخذكم بهما رأفة في دين ا لله﴾، وأما المكروه فالغضب عند فوات حظوظه المباحة كغضب الإنسان على خادمه وعبده عند انكسار انية أو توانيه في خدمته فهذا لاينتهي إلى حد المذموم ولكن التغافل والتجاوز فيه أولى واجب، وأما المحرم فهو الاستلطالة الصادرة عن الفخر والتكبر والمباهة والمنافسة والحسد والحقد وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية دون الدينية وهذا هو الغالب على اكثر الخلق إنتهى منه

ثم قال الناظم رحمه ا لله:

(ص) وعاشر الجيرة أهل الوطن ... بصفة الحب وخلق حسن
وكن على صالحهم أمينا ... واعتبر الجميع كالاهلينا

(ش) أي عاشر جيرانك أهل وطنك بصفة الحب الممدوح الذي منه قوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿لايكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه﴾، وقوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا﴾ وشبك بين أصابعه، وقوله صلى ا لله عليه وسلم ﴿مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم المسلم أخو المسلم حب أم كره وقد وصف ا لله سبحانه وتعالى رسوله صلى ا لله عليه وسلم وأصحابه بهذه الصفة فقال جل جلاله ﴿محمد رسول ا لله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية.

قوله وخلق حسن أي وخالق الناس بخلق حسن ففي الحديث انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفيه كرم المرء دينه ومرؤته عقله وحسبه خلقه وفيه سوء الخلق شؤم وشراركم اسوأكم خلقا هـ.

وفي مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية مانصه ﴿مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولاتكن في ابنه وتكون في الابن ولاتكون في الأب وتكون في العبد ولاتكون في سيده يقسمها الله لمن اراد به السعادة﴾ صدق الحديث، وصدق البأس (أي الثبات في الحرب)، واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذميم للجار أي حفظ حرمته ومراعاته بما ينفعه، والتذمم للصاحب، واقراء الضيف، ورأسهن الحياء هـ، وفي الجامع الصغير مانصه: (لو كان الحياء رجلا لكان رجلا صالحا ولو كان الصبر رجلا لكان رجلا كريما، ولو كان حسن الخلق رجلا يمشي في الناس لكان رجلا صالحا، ولو كان الفحش خلقا لكان شر خلق الله، ولو كان سوء الخلق يمشي في الناس لكان رجل سوء وان الله تعالى لم يخلقني فحاشا هـ، من رواية عائشة رضي الله عنها هـ، وقال الشيخ سيدي محمد بن أب:

حسن الاخلاق عند التلاقي   وانشر المعروف في الناس طرا
وتحري الصدق عند التناجي   وقل الحق ولو كان مرا هـ

وقوله وكن على صالحهم امينا البيت...أي بان تنصحه إذا حضر وتحفظه إذا غاب

واعتبر جميع أهل وطنك كاهاليك بان تذب عنهم بنفسك ومالك وتنظر اليهم نظر الرحمة والشفقة بان ترحم صغيرهم وتوقر كبيرهم فكبيرهم تنزله منزلة أبيك وصغيرهم تنزله منزلة ولدك فهذه صفة للمؤمنين المحصورين في آية ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾ الآية، هـ ثم قال:

(ص) مراعاة حقوق أهل الذمة والمحافظة على عهودهم

(ش) ذكر في هذه الترجمة مراعاة حقوق أهل الذمة وهم الكفار الذين سكنوا بلاد الإسلام بأمان على شروط مقررة في الاحكام، وجزية تؤدى في كل عام، كما قال الملك العلام: (حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون) هـ، ثم قال:

(ص) وارع مواثق مليك الأمه   فيما يصون حق أهل الذمه

(ش) أمر رضي الله عنه بحفظ عهود والي الأمر في صون أي حفظ حق أهل الذمة من صون دمائهم وأموالهم ثم برهن مؤكدا على ذلك فقال:

(ص) فصون حقهم به قد أمرا   شرع النبي المصطفى وقررا

(ش) أخبر رضي الله عنه ان صون حقهم أمر به الشارع صلى الله عليه وسلم وقرره ففي الصحيح من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما، وفيه أيضا ان أم هاني بنت أبي طالب دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يغتسل فقال مرحبا بأم هاني، فقالت زعم ابن امي انه قاتل فلان ابن هبيرة قد اجرته، فقال صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا أم هاني، وفيه ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما في ذمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس آجمعين، وفيه باب يقاتل من وراء أهل الذمة ولايسترقون، وعن عمر رضي الله عنه أوصى الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله ان يوفي لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولايكلفهم إلا طاقتهم هـ، قال الله جل ذكره ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا و لم يظاهروا عليكم احدا فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ان الله يحب المتقين﴾، وقال تعالى ﴿وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مامنه﴾ الآية، هـ ثم قال رحمه الله:

(ص) ومن يسوؤهم بهضم الحق يخالف الأمر لرب الخلق
يكن خصمهم بيوم الحشر رسولنا طه مفيض البر

(ش) أخبر رضي ا لله عنه بأن من تعرض لأهل الذمة بمايسوؤهم من نقض عهدهم أو اخذ أموالهم بغير حق شرعي فقد خالف أمر ا لله وهو قوله تعالى ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾، ﴿وأوفوا بعهد ا لله إذا عاهدتم﴾، ﴿وأفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ الآية، إلى غير ذلك هـ، وخالف أحاديث نبيه صلى ا لله عليه وسلم المشار إلى بعضها، وفي حديث آخر ﴿لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لاعهد له﴾ هـ، وفي صحيح البخاري عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: قال ا لله ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه و لم يعطه حقه منه انتهى، فمن خالف أمر ا لله فخصمه رسول ا لله، وكيف ترجى السلامة لمن كان خصمه رسول ا لله ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ هـ، ثم قال:

(ص) وجاء أن ظلمهم ان وجد يسلط الأعداء علينا بالردى

(ش) اشار رحمه ا لله بهذا البيت إلى حديث المصطفى صلى ا لله عليه وسلم الذي نصه: روي عن ابن عمر رضي ا لله عنه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال ﴿ماظهرت الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم ولانقصوا المكيال والميزان إلا اخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ولامنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولانقضوا عهد ا لله وعهد رسوله إلا سلط ا لله عليهم عدوهم فاخذوا

بعض ماكان في ايديهم ولاترك ائمتهم الحكم بكتاب ا لله إلا جعل ا لله بأسهم بينهم﴾ رواه البزار وابن ماجه هـ، ثم قال:

(ص) كيف يجوز ضرهم وهم لنا عون على الاعداء إذا خطب جنا

(ش) كيف استفهام انكاري أي لايصح ولايجوز لنا ضرهم مع انهم عون لنا على اعدائنا إذا جنا خطب أي دها واشتد حاله فلنا اهبة كبيرة بكثرة السواد برجالهم ولنا اعانة باموالهم واسلحتهم وتجسيسهم إلى غير ذلك هـ، ثم قال:

(ص) وهم من الجيرة في الاوطان لهم حقوق الوطن المصان
كمالهم حقوق الانسانية وهذه لذي النهى مرعيه

(ش) أي كيف يجوز ضرهم وهم من الجيرة في الاوطان لهم حقوق الوطن وحقوق الانسانية وقد قال ا لله تعالى ﴿واعبدوا ا لله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب﴾ الآية، والمراد بالجار الجنب في الآية الذمي كما روي عن ابن عباس.

وفي الحديث ﴿الجيران ثلاثة منهم من له حق واحد ومنهم من له حقان ومنهم من له ثلاثة حقوق فالجار الذمي له حق واحد والجار المسلم له حقان والجار المسلم القريب له ثلاثة حقوق، وفيه أيضا لازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، وفيه: لايؤمن من لايأمن جاره بوائقه قلنا يارسول ا لله مابوائقه؟ قال غشه وظلمه، وعن الحسن البصري أنه قال: قيل يارسول ا لله ماحق الجار على الجار؟ قال تسعة أشياء ان استقرضك اقرضته، وان دعاك اجبته، وان مرض عدته، وان استعان بك اعنته، وان اصابه خير هنيته، وان مات شهدته، وان غاب حفظت منزله وعياله ولاتؤذيه هـ.

فينبغي ان يعرف حق الجار وان كان ذميا فقد روي انه كان لمالك بن دينار جار يهودي فحول اليهودي مستحمه إلى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئا واقام على ذلك مدة وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له يا مالك اذيتك كثيرا وأنت صابر ولم تخبرني، فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه﴾ هـ.

وعن أبي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن، قالوا لقد خاب وخسر من هو يارسول الله؟ قال من لايأمن جاره بوائقه، أي غوائله وشروره هـ، ثم الجار يقع على الساكن مع غيره وعلى اللاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب، فقد سئل الحسن البصري على الجار، فقال أربعون دارا أمامه وأربعون دارا خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره هـ.

هذا تفسير لقوله وهم من الجيرة في الاوطان، اما ماذكره من حقوق الوطن وحقوق الإنسانية فالواجب على والي الأمر ان يرد عن أهل الذمة من اراد بهم سوءا في انفسهم أو أموالهم كما يرد عن ضعفاء الوطن فانه ان اهين واحد من سكان الوطن فقد اهين الوطن كله وذهبت كرامته اما حقوق الإنسانية فظاهرة وهذه الحقوق المذكورة لذي أي لأصحاب النهى أي العقول الكاملة مرعية أي محفوظة معمول بها، جعلنا الله ممن تبع آثارهم بمنه وكرمه آمين هـ، ثم قال:

(ص) والدين يرجى فيه يوم الاخرة ينفذ فيه ربنا اوامره
اما بهذا الدار فالمطلوب منا امتثال الأمر بالبيب
نسعى كما المولى علينا فرضا في حفظ حق خلقه كيف قضا

(ش) أخبر رضي ا لله عنه بان الدين أي ما يدين به الإنسان ربه يرجى فيه أي به يوم الاخرة وهو يوم الدين، قال تعالى ﴿ملك يوم الدين﴾ أي قاضي يوم الدين وهو يوم الحساب والقضاء بين الخلائق يوم يدان الناس بأعمالهم لاقاضي غيره فيجزي كل نفس بما كسبت من خير أو شر على الخير بالثواب وعلى الشر بالعقاب يوم لاينفع مال ولابنون إلا من اتى ا لله بقلب سليم.

فينبغي للمرء ان يعمل كل عمل ورد في الشرع امرا ونهيا سالم الخاطر غير معترض على حكم من احكام السنة النبوية ليكون مؤمنا كاملا، قال ا لله جل ذكره ﴿فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ الآية.

فتنبهوا أيها الاخوان واسألوا ا لله السلامة من الوقوع في الإثم والزلل فقد شاهدنا اكثر العوام وبعض طلبة العلم ممن لاخبرة له يعترض على الاحاديث النبوية والاحكام المستخرجة عن علماء السنة المحمدية وما يدري الغبي الجهول بانه اعترض على ا لله العلي الكبير فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومايدري المسكين ان العلماء ورثة الشارع وخلفاؤه من آذاهم فقد آذى النبي صلى ا لله عليه وسلم ومن آذى النبي صلى ا لله عليه وسلم فقد آذى ا لله سبحانه وتعالى ﴿ان الدين يؤذون ا لله ورسوله لعنهم ا لله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا﴾.

وفي الصاوي لدى قول ا لله تعالى (أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى ا لله أي إلى كتابه وإلى الرسول مدة

حياته وبعده إلى سنته فيعرض عليها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر) وحاصلها تفصيلا، قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي ننطلق إلى محمد، وقال المنافق ننطلق إلى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق، وقال انطلق بنا إلى عمر فاتيا عمر، فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق أكذلك؟ فقال نعم، فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد أي مات، قال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، فنزلت الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق، وإنما دعا المنافق إلى كعب بن الاشرف لانه يقبل الرشوة والنبي لايقبلها بل يحكم بالحق وكان الحق إذ ذاك مع اليهودي انتهى منه.

وإذا امتثل امر ربه ظاهرا وباطنا فقد حصل على التقوى قال الشيخ سيدي عبد الواحد ابن عاشر:

وحاصل التقوى اجتناب وامتثال	في ظاهر وباطن بذا تنال
فجاءت الاقسام حقا اربعة	وهي للسالك سبل المنفعة هـ

وليقصد بذلك وجه الله العظيم اداء لما وجب قال الله تعالى ﴿وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ الآية.

وقوله نسعى كما المولى علينا فرضا البيت... أي ومن امتثال الامر الواجب علينا ان نسعى في حق خلقه تعالى كيف قضى وحكم فان لكل طائفة

من خلق الله حقا معلوما في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب اعطاء كل ذي حق حقه بلاتكلف رأي ولاقياس لامعقب لحكمه تلك حدود الله ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وفي الصحيح (ان السنن ووجوه الحق لتاتي على خلاف الراي كثيرا فما يجد المسلمون بدا من اتباعها) هـ، ثم بين رضي الله عنه فائدة سياسةوفاء العهد فقال:

(ص) ثم سياسة وفاء العهد تسد عنا باب مكر الضد

(ش) اخبر رحمه الله بان وفاء العهد لأهل الذمة يغلق عنا باب المكر من اعدائنا وذلك لانا إذا احسنا العهد معهم امنا غوائلهم وآمنا من تجسيسهم للاعداء من خارج وإذا لم نوف بعهدهم ربما مكروا بنا بأنفسهم أو تعاون بهم غيرهم من اعدائنا وفيه فائدة اخرى وهي انا إذا صدق علينا إسم الوفاء بالعهد رغب أهل الذمة في السكنى عندنا ورغب تجارهم في جلب السلع إلينا فيحصل لنا بذلك انتفاع كبير بخلاف ما لو صدق علينا إسم الغدر والخيانة، وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر حين استأذنه في قتل عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين، فقال صلى الله عليه وسلم لايتحدث الناس انه كان يقتل أصحابه هـ، قال القسطلاني إذ في ذلك كما قال أبوسليمان تنفير الناس من الدخول في الدين هـ، ثم قال:

(ص) من يجعل انتصاره لمن ظلم وسيلة منه لمقصد علم
فيبلغ الغاية فينا مسرعا ويهضم الحقوق منا اجمعا

(ش) أخبر رضي الله عنه بأن من انتصر لمظلوم وجعل انتصاره وسيلة لمقصد أي لغرض من الاغراض النفسانية فإنه يبلغ الغاية فينا مسرعة أي ترجع تلك النية الفاسدة علينا وخيمة أي سيئة العاقبة لأن نصر المظلوم من الحقوق الواجبة علينا

شرعا فمن جعل ماهو واجب عليه شبكة يصطاد بهافقد خان ا لله ورسوله والمؤمنين هـ.

ففي القسطلاني لدى قول البخاري (باب نصر المظلوم مانصه: مسلما كان أو ذميا ويتعين على السلطان وقد يكون بالقول أو بالفعل ويكفه عن الظلم)، وعن ابن مسعود عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال أمر ا لله بعبد من عباده ان يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ا لله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا، فلما ارتفع عنه افاق، فقال على ما جلدتمني، فقالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره، رواه الطحاوي، ان كان هذا حال من لم ينصره فكيف حال من ظلمه هـ، وقال صلى ا لله عليه وسلم ﴿انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا يارسول ا لله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما، قال خذوا على يديه﴾ هـ، قال الشاعر:

إذا انا لم انصر أخي وهو ظالم … على القوم لم انصر أخي حين يظلم هـ

وقال صلى ا لله وسلم اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين ا لله حجاب. قال القسطلاني وان كان المظلوم عاصيا لحديث احمد عن ابى هريرة باسناد حسن مرفوع دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه وليس لله حاجب يحجبه عن خلقه هـ. وعن ابي هريرة رضي ا لله عنه قال كيف بكم اذا لم تجتبوا دينارا ولا درهما فقيل وكيف ترى ذلك كائنا يا ابا هريرة أى والذى نفسى بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عمن ذاك قال تنتهك ذمة ا لله وذمة رسوله صلى ا لله عليه وسلم فيشد ا لله قلوب اهل الذمة فيمنعون مافي ايديهم هـ.

وفي الحديث التوصية باهل الذمة لما في الجزية التي تؤخذ منهم من نفع المسلمين وفيه التحذير من ظلمهم وانه متى وقع ذلك نقضوا العهد فلم يجتب المسلمون منهم شيئا فتضيق احوالهم هـ، قسطلاني هـ.

إذا علمت هذا فهمت معنى قوله ويهضم الحقوق منا اجمعا لأنا نحن المسلمون مهما تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد تعرضنا لسخط الله وبلائه ومنه نصر المظلوم لوجه الله وكف الظالم عن ظلمه.

ففي تنبيه الغافلين مانصه: قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان الله تعالى يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن إذا ظهرت المعاصي فلم ينكروا فقد استحق القوم جميعا العقوبة وذكر ان الله تعالى اوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم، فقال يارب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار، قال إنهم لم يغضبوا بغضبي وآكلوهم مشاربوهم إلى ان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصي ويقدرون ان يغيروا فلا يغيرونه إلا اعمهم الله بعذاب قبل ان يموتوا، قال الفقيه رحمه الله قد اشترط النبي صلى الله عليه وسلم القدرة يعني إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح فالواجب عليهم ان يمنعوا أهل المعاصي من المعصية إذا اظهروا المعاصي لأن الله تعالى مدح هذه الامة بذلك قال ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾، وقال في آية اخرى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، وقد ذم الله تعالى أقواما بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﴿كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه﴾ الآية، وقال في آية آخرى ﴿لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون﴾ هـ،

إلى ان قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول مثل المداهن في حقوق ا لله تعالى والواقع فيها والقائم عليها كمثل ثلاثة رجال كانوا في سفينة فاقتسموا منازلهم وصار لاحدهم اعلاها ولاحدهم وسطها ولاحدهم اسفلها فبينما هم كذلك إذ أخذ أحدهم القدوم، فقالوا له ماتريد، قال اخرق في مكاني خرقا فيكون الماء اقرب لي ويكون فيها مخلائي ومهراق مائي، فقال بعضهم اتركوه ابعده ا لله يخرق في حقه ماشاء وقال بعضهم لاتدعوه يخرق فيها فيهلكنا ويهلك نفسه فان هم اخذوا على يديه نجا ونجوا وان هم لم يأخذوا على يديه هلكوا وهلك هـ.

وروي عن علي كرم ا لله وجهه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم انه قال ﴿لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشك ان يبعث ا لله عليكم عقابا من عنده ثم لتدعونه فلايستجيب لكم﴾ هـ، قال الفقيه رضي ا لله عنه ينبغي للذي يأمر بالمعروف ان يقصد به وجه ا لله واعزاز الدين ولايكون لحماية نفسه فانه ان قصد به وجه ا لله واعزاز الدين نصره ا لله تعالى ووفقه لذلك وان كان لحماية نفسه خذله ا لله تعالى فانه بلغنا عن عكرمة رضي ا لله عنه ان رجلا مر بشجرة تعبد من دون ا لله فغضب وقال هذه شجرة تعبد من دون ا لله عز وجل ثم أخذ فأسه وركب حماره ثم توجه نحو الشجرة ليقطعها فلقيه إبليس عليه اللعنة في الطريق على صورة إنسان، فقال له إلى أين؟ فقال رأيت شجرة تعبد من دون ا لله عز وجل فأعطيت ا لله عهدا ان أركب حماري وأخذ فأسي وأتوجه نحوها فأقطعها، فقال له إبليس مالك ولها عنها ومن يعبدها أبعدهم ا لله تعالى فتخاصما وتضاربا ثلاث مرات فلما عجز إبليس لعنة ا لله عليه و لم يرجع لقوله، فقال له إبليس لعنه ا لله ارجع وأنا اعطيك كل يوم أربعة دراهم فترفع كل يوم طرف فراشك فتأخذها، فقال أو تفعل ذلك؟ قال نعم، ضمنت لك ذلك كل يوم

فرجع إلى منزله فوجد ذلك يومين أو ثلاثا أو ماشاء الله فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئا ثم يوما آخر فلما رأى أنه لايجد الدراهم أخذ الفأس وركب الحمار فلقيه إبليس على صورة إنسان، فقال له إلى أين تريد؟ قال شجرة تعبد من دون الله تعالى اريد ان أقطعها، فقال له إبليس لاتطيق ذلك اما أول مرة فكان خروجك غضبا لله فلو اجتمع عليك أهل السموات والأرض ماردوك واما الآن فإنما خروجك لنفسك حيث لم تجد الدراهم فلئن تقدمت لادقن عنقك فرجع إلى بيته وترك الشجرة هـ، منه هـ، ثم قال رضي الله عنه:

(ص) ولايراعي غير جنسه كما　　　يظهر بالقياس يامن يفهما

(ش) لا نافية ويراعي من راعيته أي لاحظته وغير استثناء منقطع أو ابطال للنفي وجنسه، قال في المصباح الجنس الضرب من كل شيء والجمع اجناس وهو اعم من النوع فالحيوان جنس والإنسان نوع وحكي عن الخليل هذا يجانس هذا أي يشاكله وعن بعضهم فلان لايجانس الناس إذا لم يكن له عقل ولاتمييز هـ، والمعنى لايلاحظ احدكم غير من يجانسه أي يشاكله فتضيع ملاحظته من غير فائدة ولذا قال كما يظهر بالقياس يامن يفهما وذلك لان كل جنس مع جنسه إتلف، ففي صحيح البخاري ممزوجا بشارحه القسطلاني مانصه: قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة أي جموع مجمعة وانواع مختلفة فما تعارف منها توافق في الصفات وتناسب في الاخلاق ائتلف وما تناكر منها لم يوافق ولم يناسب اختلف إلى ان قال ولذا ترى الخير يحب الاخيار ويميل إليهم والشرير يحب الاشرار ويميل إليهم فدل قوله ماتعارف على تقدم اختلاط في الازل ثم تفرق بعد ذلك في ازمنة متطاولة ثم ائتلف بعد التعارف كمن فقد انيسه وألفه ثم اتصل به وهذا التعارف الهامات يقذفها الله تعالى في قلوب العباد من غير اشعار منهم بالسابقة.

وفي حديث ابن مسعود مرفوعا (الارواح جنود مجندة تلتقي فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف فلو ان رجلا مؤمنا جاء إلى مجلس فيه مائة منافق وليس فيه إلا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو ان منافقا جاء إلى مجلس فيه مائة مؤمن وليس فيه إلا منافق واحد لجاء حتى يجلس إليه) هـ، إلى ان قال ولبعضهم:

ان القلوب لاجناد مجندة   قول الرسول فمن ذا فيه يختلف
فما تعرف منها فهو مؤتلف   وما تناكر منها فهو مختلف هـ

ولآخر:

بيني وبينك في المحبة نسبة   مستورة في سر هذا العالم
نحن الذين تحاببت ارواحنا   من قبل خلق الله نشأة آدم هـ

وعليه فاذا لاحظت غير من يشاكلك نفرت طبيعته منك لماذكر وحتى لو جلس إليك واستمع من قولك فانه لاينتفع به لكونه لم يبلغ منه إلا السمع فقط والذكرى لاتنفع إلا حاضر القلب قال الله جل جلاله ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد﴾ هـ، ثم قال رحمه الله:

(ص) فالاتفاق بيننا يدافع   عنا شروا كلها صوادع

(ش) هذا ارشاد من الناظم رضي الله عنه إلى فائدة الاتفاق فاخبر ان الاتفاق الذي هو الائتلاف وعدم الشقاق يدفع عنا شرورا أي غوائل أعدائنا التي كلها صوادع، ففي المصباح صدعته صدعا شققته وصدعت القوم صدعا فتصدعوا فرقتهم فتفرقوا هـ، ولقد ارشدنا إلى ذلك المولى جل جلاله وذكرنا جميل انعامه قال عز من قائل ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم

مسلمون وأعتصموا بحبل ا لله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة ا لله عليكم إذكنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا﴾ الآية.

وارشدنا إلى الشورى التي هي أساس الاتفاق، ومدح الانصار بها، فقال جل جلاله ﴿والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾، وفي الصاوي الشورى مصدر شاورته أي شاركته في الرأي كالبشرى وكانت الانصار قبل قدوم النبي صلى ا لله عليه وسلم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم ا لله تعالى به وأمر رسوله صلى ا لله عليه وسلم بذلك قال تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾، تأليفا لقلوب أصحابه وكانت الصحابة بعده صلى ا لله عليه وسلم يتشاورون في المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ماتشاور فيه الصحابة الخلافة لأن النبي صلى ا لله عليه وسلم لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه فقال عمر نرضى لدنيانا مارضيه النبي لديننا فوافقوه على ذلك.

وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ماتشاور قوم قط إلا هدوا إلى أرشد أمورهم وفي الحديث إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وان كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها هـ.

وقال صلى ا لله عليه وسلم رأس العقل بعد الإيمان با لله التودد إلى الناس وما استغنى مستبد برأيه وما هلك أحد عن مشورة فإذا أراد ا لله بعبد هلكة كان أول مايهلكه رأيه، وقال صلى ا لله عليه وسلم ﴿يد ا لله مع الجماعة وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية﴾، وقال صلى ا لله عليه وسلم ﴿المرء كثير

بأخيه﴾ هـ، فالناظم رحمه الله أرشد إلى الاتفاق وتحت ضمنه التحذير من الشقاق والتنازع، قال الله تعالى ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا، أي تختلفوا فيما بينكم، فتفشلوا، أي تجبنوا، وتذهب ريحكم، أي قوتكم ودولتكم، واصبروا ان الله مع الصابرين، أي بالعون والنصر﴾ هـ.

وفي وصية قيس بن عاصم لبنيه ماينبغي الاستشهاد به تقريبا للاذهان وهو انه جمع لهم ثمانين سهما بوتر ثم قال اكسروها فلم يستطيعوا ثم قال فرقوها، فقال اكسروها سهما سهما فكسروها، فقال هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة هـ، ثم قال:

(ص) محبة الوطن والدفاع عنه ومعنى التمدن المحمود

(ش) أي هذا باب في محبة الوطن أي مايجب من محبة الوطن والدفاع عنه قولا وفعلا وفي معنى التمدن المحمود أي المحمود فاعله هـ، ثم قال:

(ص) وكن محب الوطن المعظم ذا غيرة عليه للتقدم

(ش) أي كن أيها الفتى محبا لوطنك شحيحا عليه وعلى ابنائه بحيث لاتسمح ليد الاغيار تعبث به ولا لاهانه تقع عليه ولا لمصيبة تلم به وإذا رأيت من يقصد وطنك بإهانة أو مكر وخديعة فلتناضل عنه بنفسك ومالك ومكرك وفتكك وخديعتك، ولتكن ذا غيرة عليه أي على وطنك لأجل التقدم الذي هو محو الجهل عن ابنائه واحياؤهم بالعلم النافع لأن أصل الجبن الجهل وأصل الشجاعة العلم فلاتجد عالما إلا فيه سرعة للتقدم في الخصال الحميدة ولا جاهلا إلا متأخرا عنها هذا هو التقدم المطلوب والتمدن المحمود واما قوله المعظم فهو صفة للوطن أي الواجب تعظيمه واحترامه قال الشاعر:

بلادي وان جارت علي عزيزة وأهلي وان شحوا علي كرام

ولبس التمدن المحمود بسفاسف الأمور كما سيأتي هـ، ثم قال:

(ص) فحبه عد من الإيمان   وبغضه من أعظم الخسران

(ش) اشار رحمه الله بهذا البيت إلى حديث ﴿حب الوطن من الإيمان﴾، وإذا كان حبه الذي تقدمت الاشارة إليه من الإيمان فبغضه الذي هو ارادة الجهل والبؤس والشقاء لأهله لاشك من أعظم الخسران هـ، ثم قال:

(ص) وابذل لهذا الخلق المجهودا   حتى يكون طبعك المحمود

(ش) أي ابذل لهذا الخلق الحسن الذي هو محبة الوطن والدفاع عنه وحب التقدم لجميع ابنائه وبهذا تكون محمود الطبيعة كريم السجية كما قال حتى يكون طبعك المحمودا أي يكون مطبوعا فيك حب الوطن والدفاع عنه هـ، ثم قال رضي الله عنه:

(ص) فلا ينال المرء من فلاح   حتى ترى الأوطان في نجاح

(ش) لما أمر بحب الوطن وببذل المجهود في حق خدمته وفي تقدم ابنائه، أخبر بأنه لاينال المرء أي الشخص فلاحا ولو بلغ مابلغ من سعة المال والصحة والعز والجاه إلى غير ذلك حتى ترى الأوطان في نجاح أي حتى يكون الوطن في ازدهار وتنعم، وازدهار الوطن بحسن سيرة ابنائه كما لايخفى فحيث كان ابناء الوطن في تقدم، متخلقين بمكارم الأخلاق، متراحمين على مايرضي الملك الخلاق، إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يوم التلاق، لايشغلهم عمل الدنيا عن طاعة المعبود الرزاق، ولايتركون الدنيا بالكلية من أسباب وكسب وصناعة فيحتاجوا إلى الانفاق، قال المولى جل جلاله ﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله﴾ الآية، وفي الحديث ﴿خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته و لم يكن كلا على الناس﴾ هـ.

ومن تأليف سيد عمر بن سعيد الفوتي الطوري مانصه: وقد قالوا من شرط الداعي إلى ا لله ان لايكون متجردا عن الدنيا بالكلية بأن تخلو يده منها وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس اما بالحال واما بالمقال وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم وقل نفعهم به بخلاف إذا كان له مال يعطي منه المحتاجين من مريديه وغيرهم فان فقد الحال الذي يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم به ومن لاحال له ولامال لاينفعه المقال وفي الحديث ﴿عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه في قيام الليل﴾.

قلت وفي الحديث أيضا ﴿ان من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي ا لله تعالى ووجهه كالبدر﴾، وفيه أيضا أنه صلى ا لله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى، فقالوا ياويح هذا لو كان جلده وشبابه في سبيل ا لله، فقال صلى ا لله عليه وسلم لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل ا لله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين وذرية ضعاف ليغنيهم على الناس ويكفهم فهو في سبيل ا لله وان كان يسعى تفاخرا أو تكاثرا فهو في سبيل الشيطان، وفيه ﴿لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان يأتي رجلا أعطاه ا لله فيسأله أعطاه أو منعه﴾، وقال حذيفة رضي ا لله عنه خياركم من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه، وفيه لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، وفيه اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وفيه الفار من عياله كالفار من الزحف، وفيه ان الصحابة اثنوا عند النبي صلى ا لله عليه وسلم على رجل بالعبادة، فقال صلى ا لله عليه وسلم فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه ضيعته، قالوا نحن يارسول ا لله، فقال كلكم خير منه.

وقال أبوسليمان الداراني رضي ا لله عنه ليس الشأن ان تصف قدميك للعبادة وغيرك يقوتك إنما الشأن ان تحرز رغيفتك في بيتك ثم تغلقه وتصلي فلاتبالي بأي داق دق الباب بخلاف من قام يصلي في بيته وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول ان معه رغيفا، وقال الثوري عليكم بالحرفة فان عامة من أتى أبواب الأمراء إنما أتاهم لحاجة هـ، بخ من خط الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمن هـ.

فإذا كان أبناء الوطن بهذه المثابة فالوطن في نجاح وأهله في غاية الصلاح، اما إذا كان أبناء الوطن بالبطالة واللعب مشتغلين، وبالجهالة وسفاسف الأمور متصفين، وبالبذاء وسوء الخلق متوسمين، فالوطن في شقاء عظيم، والمخلص الكريم في عذاب اليم هـ.

إذا تمهد هذا فالواجب على جميع المسلمين من شيوخ وشبان وأطفال ان يقوموا أولا بالواجب في حق ا لله بأداء طاعته المنوطة بإتباع سنة رسوله صلى ا لله عليه وسلم قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿قل ان كنتم تحبون ا لله فاتبعوني يحببكم ا لله ويغفر لكم ذنوبكم﴾، وقال تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع ا لله﴾ الآية، وقد تكفل لنا تبارك وتعالى ان امتثلنا أمره بالنصر على أعدائنا وتوريث أرضه، قال تبارك وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا ا لله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾، والمعنى ان تنصروا دين ا لله ينصركم ا لله ونصر دين ا لله هو العمل بالكتاب والسنة، فإذا عمل المسلمون بالكتاب والسنة فقد نصروا ربهم وهو ناصرهم ومدافع عنهم لامحالة، قال تعالى ﴿ان ا لله يدافع عن الذين آمنوا﴾ الآية، ﴿وعد ا لله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ الآية، هـ، ثم بالأسباب المحصلة للمعاش من

خدمة وكسب وتجارة وصناعة فان ا لله تبارك وتعالى لم يخلق الإنسان سدى بل طلب منه عبادة وتكفل له برزق واقامة في أسباب ولولا ان الأسباب مطلوبة لما قال تعالى لمريم ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ الآية، فطريقة أهل البصائر السعي والطلب مع الاجمال فيه والتوكل على ا لله تعالى لان بالهز سقط الثمر كما قيل:

الم تر ان ا لله اوحى لمريم وهزي إليك الجزع يساقط الرطب
ولو شاء ادنى الجذع من غير هزه إليها ولكن كل شيء له سبب هـ

وروي ان داوود عليه السلام كان يخرج متنكرا ويسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته فتعرض له جبريل عليه السلام على صورة آدمي، فقال له داوود يافتى ماتقول في داوود، فقال له نعم العبد غير ان فيه خصلة، قال داوود وماهي؟ قال جبريل يأكل من بيت مال المسلمين وما في العباد أحب إلى ا لله تعالى من عبد يأكل من كسب يده، فعاد إلى محرابه باكيا متضرعا إلى ا لله يقول يارب علمني صنعة تغنيني بها عن بيت مال المسلمين، فعلمه ا لله تعالى صنعة الدروع والان له الحديد حتى كان الحديد يلين في يده بمنزلة العجين وكان إذا تفرغ من قضاء حوائج أهله يعمل درعا فيبيعه ويتعيش هو وعياله بثمنها فذلك قوله تعالى ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم﴾ الآية.

وروي هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي ا لله عنها عن النبي صلى ا لله عليه وسلم انه قال كان سليمان بن داوود عليه السلام يخطب الناس على المنبر وان في يده الخوص يعمل به القفة فإذا فرغ ناوله انسانا، فقال اذهب فبعه.

وروي أبوهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان زكريا عليه السلام كان نجارا وعن عمر رضي الله عنه قال يامعشر الفقراء ارفعوا رؤسكم واتجروا ولاتكونوا عيالا على الناس، وعن ابن المبارك انه قال من ترك السوق سآى خلقه وذهبت مروؤته، وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿من غرس غرسا أو زرع زرعا فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبع فهو له صدقة﴾، وعن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع ان لايقوم حتى يغرسها فليفعل﴾، وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السوق ويشتري حوائج أهله وسئل عن ذلك فقال ﴿أخبرني جبريل عليه السلام ان من سعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله﴾.

وقيل لبعض الحكماء ماخير المكاسب قال اما خير مكاسب الدنيا فطلب الحلال لزوال الحاجة، والاخذ منه لعدة العبادة، وتقديم فضل زاد ليوم القيامة واما خير مكاسب الاخرة فعلم معمول به نشرته، وعمل صالح قدمته، وسنة حسنة احييتها، قيل وماشر المكاسب قال اما شر مكاسب الدنيا فحرام جمعته، وفي المعصية انفقته، ولمن لايطيع ربه خلفته، واما شر مكاسب الاخرة فحق انكرته حسدا، ومعصية قدمتها اصرار، وسنة سيئة احييتها عدوانا، أي ظلما.

وقال شقيق بن ابراهيم في قوله تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ ان الله عز وجل لو رزق العباد من غير كسب لتفرغوا فتفاسدوا ولكن شغلهم بالكسب حتى لايتفرغوا للفساد، وقال سعيد بن المسيب

لاخير فيمن لايجمع المال من حله فيخرج منه حقه ويصون به عرضه، وعن أنس بن مالك رضي ا لله عنه ان رجلا جاء إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم فسأل منه حاجة، فقال رسول الله صلى ا لله عليه وسلم اوما في بيتك شيء؟ قال بلى يارسول ا لله حلس قد تخرق بعضه ونحن نجلس عليه وننام فيه ونجعل بعضه تحتنا وبعضه فوقنا وقصعة نأكل فيها ونشرب فيها ونغسل فيها رؤوسنا، فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ائتيني بهما جميعا فأتاه بهما فأخذهما رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بيده وقال من يشتري هذين، فقال رجل أنا اخذهما بدرهم، فقال ألا من يزيد على درهم مرتين، فقال رجل آخر أنا اخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وقبض الدرهمين ودفعهما إلى الرجل، وقال له اشتر باحدهما طعاما واحمله إلى منزلك واشتر بالاخر قدوما وأتيني به فاتاه فشد له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عودا بيده ثم قال انطلق واحتطب وبع ولا أراك خمسة عشر يوما فذهب واكتسب عشرة دراهم فاشتري ببعضها طعاما وببعضها ثوبا، فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أليس هذا خير لك من ان تجيء يوم القيامة ومسألتك في وجهك نكتة سوداء لايمحوها إلا النار هـ.

أما من ترك الاسباب المحصلة للعلم با لله والرزق وبقي مشتغلا بالبطالة والنوم فهو بمنزلة البهيمة يصدق عليه قول الشاعر:

إذا لم تكن تقرأ و لم تك فاهما	فموتك خير من حياتك دائما
نهارك بطال وليلك نائم	كذلك في الدنيا تعيش البهائم هـ

ثم بتعليم الحرب بجميع انواعه لكافة أبناء الوطن إلا أهل الاعذار لان الجهاد تارة يكون فرض كفاية وتارة يكون فرض عين والي ذلك اشار الشيخ خليل بقوله وتعين بفجيء العدو وان على امرأة وعلى من بقربهم ان عجزوا

وبتعيين الامام هـ، فإذا تعين على من لاخبرة له بالحرب فذاك نفس الشقاء وعليه فيجب على كل شخص سالم من الاعذار ان يتعلم الكفاح بجميع انواع السلاح قاصدا بذلك وجه الملك الفتاح ففي الحديث ﴿علموا أبناءكم الرماية﴾، وقال عليه الصلاة والسلام كل لهو يلهو المؤمن باطل إلا ثلاثة ملاعبة الرجل امرأته وتأديب فرسه (أي تدريبها على الكر والفر) ورميه بقوسه هـ.

ثم أشار إلى ان خير الوطن خير لجميع المنتسبين إليه فقال:

فخيرها خير لكل واحد من اهلها من واجد وفاقد

(ش) أي خير الوطن وسعادته خير لكل فرد من افراده سواء الواجد للمال والصحة والعافية أو الفاقد لبعضها أو لجميعها لأنه إذا كان أهل الوطن على ماذكرنا من الاقسام بمكارم الاخلاق واتباع سنة رسول الملك الرزاق.

فالفا قدبينهم واجد هـ ثم قال

(ص) ولايكون حبها صحيحا · حتى ينال حقها الترجيحا

على حقوق النفس والاهلينا والصحب والاباء والبنينا

(ش) لا نافية لكمال الحب والمعنى لايبلغ أحد حقيقة حب الوطن حتى يقدم حقه على حقوق نفسه واهله واصحابه وابائه وابنائه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم ﴿لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين﴾ فالمنفي في الحديث كمال الإيمان وكذا في قول الناظم المنفي كمال الحب وصحته لا الحب من أصله والمعنى إذا ناب حق من حقوق الوطن مثل الدفاع عنه أو محو الجهل عن أهله أو غير ذلك فالمحب الكامل لوطنه يقدم ذلك على حقوق نفسه بأن يحرم النوم والكسل والتفكه بالمآكل والمشارب ويصبر على اذى الجوع والحر والبرد والسهر إلى غير ذلك ولايشتغل بصلاح ماله

واهاليه حتى يؤدي للوطن حقه كاملا موفورا هـ، اما من كـان يسـعى لاصـلاح الوطن صورة وفي الحقيقة سعيه لنفسه كبعض الموظفين والمعلمين الذين لاينظرون إلا إلى تحصيل راتبهـم لا لمصـالح الوطن والشـعب ولا لتعليـم أولاد المسـلمين وتهذيبهم فليس بمحب لوطنه وعليه اثم البريسين وهذه الصفة هي القائمة بـاكثر اهل وطننا وفقنا الله وإياهم للاتباع وعصمنا وإياهم من الابتداع وهدانا وإيـاهم لما فيه صلاح الاسلام والمسلمين آمين يارب العالمين هـ، ثم قال:

(ص) فما نـجـاح الامم الغـربـية ... إلا بهـذي الـخـصـلـة السنيـة
وباكـتـسـاب الـعـلـم والفـنون ... وغـير ذا من اوهــن الـظـنــون

(ش) أخبر رضي الله عنه بان سبب نجاح الأمم الغربية هو هاتـه الخصلـة السنية وحدها لاغير وهي ترجيـح حق الوطـن على حـق النفس والاهـل إلخ، مـاذكر وباكتساب جميع فنون العلم إلخ أي العلم المكسوب الذي يحصل بالتعلم ويدخـل فيه جميع العلوم الدينية والدنياوية هـ، اما مـن ظـن ان النجـاح حصـل أو يحصـل بغير ماذكر فقد خاب ظنه هـ، ثم قال:

(ص) فاصبحت ديارهم جـنـانـا ... غـنـيـة وعــزها مـصــانــــا
وقـد غــدوا عـزة الـمـلــوك ... اعـاظـم الـغـنــي والـصـعـلـوك
وكـل ذا من حـبـهـم لـلـوطـن ... وكـسـبـهـم لكــل فــن حسـن
هذا هـو الـتـمــدن الـمـحـمـود ... إليــه يـسعـى الطـالـب السعـيـد
(ص) وليس بالاسراف والتبذيـر ... تـمـدن يـعـقــل في الـدهـــور

(ش) أي فبسـبب نجـاحهم بحـب وطنهـم وباكتسـاب العلـم والفنـون اصبحـت ديارهم جنانا أي خضراء مزخرفة واصبح عزها مصانا أي محفوظـا بتعلـم ابنائهـا وتأديبهم وصاروا اعزة الملوك لمحو الجهل من الرعية معظم الغني منهم والصعلوك

وهو الذي لايملك شيئا وذلك لماتخلق الاغنياء بالاخلاق الفاضلة وعلموا بأنهم وكلاء الله وان الفقراء عيال الله صار الفقير معظما مبجلا في سبيل الله وفي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿أبشروا يامعاشر صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة﴾ هـ روح البيان هـ.

وهذا هو التمدن المحمود الذي يسعى إليه كل طالب لبيب أي وليس التمدن المحمود بالاسراف والتبذير وارتكاب افعال المجانين، من صرف المال في اللهو والاباطيل الذين نهى الله عنهما عباده بقوله عز من قائل ﴿ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾، ﴿ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ هـ، ثم قال:

(ص) التواضع والمحافظة على شرف الأسرة

(ش) ذكر في هذه الترجمة حكم التواضع وكيفيته والمحافظة على كرم المرء وشرفه فقال:

(ص) ثم إذا مانلت علما فاخرا	وحزت جاها في البرايا زاهرا
فاحذر من الكبر وسوء المسلك	بين الورى دوما وإلا تهلك

(ش) ما زائدة والمعنى إذا نلت أيها الفتى علما كبيرا وحزت جاها عظيما فاحذر من الكبر الذي هو اعظم ذنوب القلب حتى قال بعض الاولياء كل ذنب يكون معه الفتح إلا الكبر قال تعالى ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾، ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾، وقال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقالوا يارسول الله احدنا يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، فقال إن الله جميل يحب

الجمال، ولكن الكبر بطر الحق وغمص الناس ومعنى بطـر الحـق رده علـى قائلـه ومعنى غمص الناس احتقارهم.

واعلم ان الكبر خلق في الباطن واعمال تصدر عن الجوارح يستعظم بها الانسان نفسه ويحتقر الناس وذلك لايليق به لان الكبرياء والعظمة والعزة والعلـو لايليق في الحقيقة إلا لله تعالى وسبب الكبر امـا علـم أو عمـل أو نسـب أو قـوة رجال أو كثرة انصار فمن تكبر بوصف من تلك الاوصاف فقد كفر نعمـة ربـه نسأل الله تعالى العافية واعظم درجاته التكبر على الله تعالى ثم على رسـوله ثـم على سائر الخلق هـ.

وقوله وسوء المسلك واحذر سوء المسلك بين الورى أي الخلق واسـلك سلوكا حسنا بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل قوله وإلا تهلك أي وان لم تحذر الكبر وسلكت سلوكا سيئا فتهلك هـ، ثم قال:

(ص) وكن سياسيا دقيـق النظر　　　كاتـم سـر آخـذا بالحـــذر

(ش) أي كن أيها الفتى صاحب سياسة لان السياسة لها باب واسع لاغنى عنهـا في موضع من المواضع فكل صنف من الناس يحتاج إلى سياسة تخصه كما ان كـل فعل من الافعال لابد له من سياسة تختص به فمن لم يسـتعمل السياسـة في جميـع الاحوال لم يدرك الامال ففي شرح الرحيم الرحمن قال انوشر وان النـاس ثـلاث طبقات فنسوسهم بثلاث سياسات طبقة هم الابـرار نسوسـهم بـاللين والعطـف وطبقة هم الاشرار فنسوسهم بالغلظة والعنف وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين كيلا تخرجهم الشدة ولايبطرهم اللين وفيه قيل:

إذا كـنـتـم لـلـنـاس أهـل سياسـة　　　فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحـوا　　　على الـذل ان الـذل اوفق للنذل هـ

وقوله دقيق النظر أي في العواقب فلا تعمل عملا حتى تنظر بعين بصيرتك إلى عاقبته ولاتفه بكلمة حتى ترى عاقبتها وما تؤول إليه وقوله كاتم سراي كن كاتما للسر في جميع الأمور ففي كتمان السر قضاء الحوائج لما في الحديث ﴿تعاونوا على جوائحكم بالكتمان﴾، وقوله اخذا بالحذر أي كن دائما على حذر من سوء الظن بالناس في الأمور الدنياوية فان من الحزم سوء الظن بالناس وقد قالوا سوء الظن بالناس يورث السلامة وحسن الظن بالناس يورث الندامة وفي معناه قيل:

اری العنقاء تكبر ان تصادا　　فعاتد من تطيق له عنادا
وظن بسائر الاخوان شرا　　ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرا　　لما طلعت مخافة ان تصادا هـ

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه من كتم سره كان الخيار بيده، وقال عمرو بن العص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لاني كنت اضيق منه صدرا به حيث استودعته إياه، ولبعضهم في هذا المعنى:

إذا ضاق صدر المرء عن سرنفسه　　فصدر الذي يستودع السر اضيق
إذا المرء افشى سره بلسانه　　ولام عليه غيره فهو احمق

غيره:

إذا ضاق صدرك من حديث　　فافشته الرجال فمن تلوم
إذا عتبت من افشى حديثي　　وسرى عنده فانا الظلوم

وما احسن قول الآخر:

سرك ان اودعته ثانيا　　فاعلم بان قد ان ان تفشيه
لان ما اضمرت في حالة　　الافراد تستخرجه التثنيه

وقال مؤيد الدين الطغراي‌ء

ولاتستودعن السر الا فؤاداك فهو موضعه الامين
إذا حفاظ سرك زيد فيهم فذاك السر اضيع مايكون

وقال بعضهم السر ماكتمته في نفسك فاما ما اسررته إلى غيرك فليس بسر، وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلاتجره في غير اوداجك فانك متى تكلمت به ارقته، وكما انه لاخير في آنية لاتمسك مافيها فكذلك لاخير في لسان لايمسك سره، وقال بعضهم سرك اسيرك فاذا ابذلته كنت اسيره، وفي المعنى لابن نباتة

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الحزم إلا الحذر
اسيرك سرك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

ولا أبي عثمان التجيبي:

اكتم السر واجعل الصدر قبره لاتبيح ماحييت منه بذره
انت مالم تبح بسرك حر فاذا بحت صرت عبدا بمره
من يريد ان يعيش عيشا هنيا يتحفظ مماعسى ان يضره

وله أيضا:

لاتبح ماحييت يوما بسر لصديق ولا لغير صديق
ان سرا يجاوز الصدر فاش يدريه العدا ومن في الطريق

وقال معاوية رضي الله عنه الحازم من كتم سره عن صديقه مخافة ان تنتقل صداقته فيذيع سره، قال بعضهم:

احذر عدوك مره واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان اعلم بالضره

إنتهى من شرح السراج الجزء الثاني رقم: 148/149.

فمن كان على حذر من العدو والصديق نجا ومن لافلا هـ. ثم قال:

(ص) لاتغترر بالمدح ذي الاطناب وان يكن من أكرم الاحباب
بل حاسب النفس وحافظ ابدا على اكتساب المجد في طول المدى

(ش) لا ناهية أي إياك ان تغترر بمن يمدحك بالخصال الحميدة ويطنب أي يخرج عن الحد وان كان المادح لك من كرم أصحابك فان من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن ان يذمك بما ليس فيك بل حاسب نفسك فانت المطلع على عيوبها فلا تقنع بما يقال فيك فتدخل تحت قوله تعالى ﴿ولاتحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾، قوله وحافظ ابدا البيت أي حافظ على مكارم الاخلاق مدة حياتك هـ، ثم قال:

(ص)واحذر ضياع الاسم من بين الملا فالاسم ان ضاع فقد ضاع العلا

(ش) الواو حرف عطف احذر معطوف على حافظ والمعنى حافظ على اكتساب المجد أي الشرف واحذر ضياع الاسم أي الشرف وضياع الشرف يكون بارتكاب أخس الأمور وصحبة الاراذل وقد تقدم هذا المعنى لدى قول الناظم والعرض للمرء إذا مادنس البيت... فليراجعه من شاء هـ، ثم قال:

(ص) وكل ماقدمته فاستعن عليه بالمولى عظيم المنن

(ش) أي فاستعن أيها الطالب على ماقدمه الناظم في هاته الجوهرة الفريدة بالمولى أي الله المتولي أمورك قال جل جلاله ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ الآية، ﴿ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم﴾، ﴿واعتصموا بالله هو مولاكم﴾ أي ناصركم ومتولى أموركم وقوله عظيم المنن أي النعم قال تعالى ﴿وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ والاعانة في اللغة التقوى على الأمر والظهور

عليه وعرفا هو خلق القدرة على الفعل مطلقا أو على الفعل المحمود فمن اعانه ا لله هيأ له الاسباب وفتح له الابواب ومن لم يعنه كان سعيه عليه عناء قال الشاعر:

إذا كان عون ا لله للمرء ناصرا تهيأ له من كل صعب مراده
وان لم يكن عون من ا لله للفتى فأكثر مايجني عليه اجتهاده

غيره:

إذا لم يعنك ا لله فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك ضللت ولو ان السماك دليل هـ

وعليه فينبغي للمرء ان يستعين با لله ويعتمد عليه في جميع أموره هـ، ثم قال:

(ص) واسأله توفيقا بلا خذلان ونعمة تبقى بلا خسران

(ش) اسأله توفيقا معطوفا على فاستعن عطف تفسير إذ التوفيق هو خلق القدرة على الطاعة وفعل الطاعة هو الفعل المحمود فمن وفقه ا لله هيأ له أسباب الطاعة وقواه عليها وكره إليه المعاصي وابعده عنها فلاحول عن المعصية إلا بعصمته ولاقوة على الطاعة إلا بتوفيقه، وقد ذكرنا فضله ونعمته على من امتن عليه وهداه قال تعالى ﴿ولكن ا لله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من ا لله ونعمة﴾ الآية، ﴿بل ا لله يمن عليكم ان هداكم للإيمان ان كنتم صادقين﴾ هـ.

وقوله بلاخذلان الباء للعوض أي اسأله توفيقا بلاعوض خذلان، والخذلان هو خلق القدرة على الكفر، قوله ونعمة تبقى معطوف على توفيق أي اسأله دوام التوفيق الذي هو عين النعمة وقد تقدم ان اعظم النعم الاسلام ثم سائر انواع الطاعات ثم الشكر على ذلك هـ، وقوله بلاخسران هو مثل

بلاخذلان أي بلاعوض خسران والعوض هو البدل والخسران هـو ضيـاع العمـر بلافائدة قال الشاعر:

الا انـمـا الـخـسـران ان لـيـالـيـا تمـر برنفع وتـحسب من عمر هـ

غـــيره:

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس عليه من الانفـاق في غير واجب هـ

ولأجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضـي ا لله عنهـم لأنفاسـهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعتهم واوقاتهم و لم يضيعـوا اعمـارهـم في البطالـة والتقصير لم يقنعوا من انفسهم لمولاهم إلا بالجد والتشمير وقد قـال علـي رضـي ا لله عنه بقية عمر المؤمن مالها ثمن يدرك فيها مافات ويحي مـا امـات وقـد نظمـه بعض الشعراء فقال:

بقـيـة الـعـمـر عـنـدي مالـها ثمن وان غدا غير محـبـوب من الثمن

يستدرك الـمـرء ما افات ويـحي ما مات ويمحو السوء بالحسن هـ

ولاجل محافظتهم على اوقاتهم لايرتكبون المباحات إلا بنية تقلبهـا قربـة فتكون من المندوبات أو الواجبات ولذا لم يكن في طريق القوم مباح.

وفي شرح الحكم لـدى قـول المصنـف مافـات مـن عمـرك لاعـوض لـه وماحصل لك منه لاقيمة له مانصه: عمر العبد ميدان لاعماله الصالحة المقربة لـه من ا لله تعالى الموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة وهذه هي السعادة التي لهـا يكدح العبد ويسعى من اجلها وليس له منها إلا ماسعى كمـا قـال تعـالى ﴿وان ليس للإنسان إلا ماسعى﴾ فكل جزء يفوتـه مـن العمـر خاليـا مـن عمـل صـالح يفوته من السعادة بقدره ولاعوض له منه قال الجنيـد رضـي ا لله عنـه الوقـت إذا فات لايستدرك وليس شيء اعز من الوقت وكل جزء يحصل له مـن العمـر غـير

خال من ذلك يتوصل به إلى ملك كبير لايفنى ولاقيمة لمايوصل إلى ذلك فانه في غاية الشرف والنفاسة، وقال الحسن البصري رضي ا لله عنه ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لايخرج احدكم دينارا ولادرهما إلا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لايحبون ان تخرج ساعة من اعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه هـ، ثم قال:

(ص) وادع بخير للحقير الناظم واطلب له الاحسان في الخواتم

(ش) إلتمس رحمه ا لله من قاريء كتابه ان يدعو له بالخير والخير مايمدح فاعله شرعا عكس الشر واعظمه الايمان با لله ثم المحافظة على افعال الطاعات التي يزيد الإيمان بها، ففي الحديث لا إله إلا ا لله مفتاح الإيمان ومامن مفتاح إلا له اسنان فمن أتى بمفتاح له اسنان فتح له وإلا لم يفتح لـه فلايزال العبد يتقرب إلى ا لله تعالى بطاعته حتى يفتح له الباب ويرفع له الحجاب وفي الحديث القدسي ﴿ماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما أفترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه إلخ﴾.

فالعبد إذا اطاع ربه كما أمر واتبع سنة نبيه سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم لستوجب المحبة والغفران من ا لله قال جل ذكره ﴿قل ان كنتم تحبون ا لله فاتبعوني يحببكم ا لله ويغفر لكم ذنوبكم﴾، واتباع النبي صلى ا لله عليه وسلم هو اتباع سنته فمن عمل بسنة النبي صلى ا لله عليه وسلم في اقواله وافعاله فيما احب أو كره في منشطه ومكرهه فقد اطاع ا لله ومن لا فلا ﴿من يطع الرسول فقد اطاع ا لله﴾، ﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الآية.

أما من خالف السنة واتبع البدع واتخذ إلهه هواه فليس بمحب لله ولا لنبيه صلى الله عليه وسلم لان المحب لايرى إلا ساعيا فيما يرضي محبوبه وفي معناه قيل:

تعصي الاله وانت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته   ان المحب لمن يحب مطيع

إذا تمهد هذا فادعاء الحب مع اظهار المخالفة كذب وزور واتباع هوى، قال المولى جل جلاله ﴿افمن اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون﴾، ﴿افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ الآية، ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا﴾، ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها﴾ الآية، ﴿ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ نعوذ بالله من اتباع غير سبيل المؤمنين هـ.

فقد علم من هذا ان الخير هو الطاعة والجزاء عليها، والشر هو المعصية والعقاب عليها، فمن إلتمس الدعاء بخير فقد طلب التوفيق لافعال الطاعة والمحافظة عليها هـ.

وقوله للحقير الناظم حقير مهين لايعبأ به لإرتكابه المخالفات وهذا منه رضي الله عنه هضم لنفسه وهكذا شأن العبيد الصديقين من العلماء العاملين عرفوا انفسهم بالذل والهوان و لم يثبتوا لها عملا ولاتقوى ولافضل احسان فعرفوا ربهم فكانوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر رضي الله عنهم وارضاهم، قوله واطلب له الاحسان في الخواتم أي اسأل له من الله الختم بالحسنى وهو الموت

على الشهادة فانه احق واولى مايدعو الإنسـان بـه ويتضـرع إلى الله في حصولـه ولان الحاجة إلى الإيمان عند النزع اشد منهـا فيمـا سـلف لان الاعمـال بخواتمهـا والختم في اللغة الطبع وختيم الشيء ختما بلغ آخـره والمعنـى علـى الأول ان مـن قال الكلمة المشرفة مخلصا وكان آخر عهـده بالدنيـا فقـد طبـع السـعادة الابديـة وعلى الثاني ان من ختم عمره بالكلمة المشرفة كان من السعداء الفائزين هـ.

﴿ خـــاتمــــــــة ﴾

قد عن لي ان اختم شرحي هـذا ببعض مـاورد في فضـل لا إلـه إلا ا الله رجاء ان يختم بها عمري، فمن ذلك قول رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم افضل ماقلته أنا والنبيئون من قبلي ﴿لا إله إلا ا الله وحده لاشريك لـه﴾ رواه مـالك في الموطأ وقوله صلى ا الله عليه وسـلم أفضـل الذكـر لا إلـه إلا ا الله وافضـل الدعـاء الحمد لله.

وروي النسائي انه صلى ا الله عليه وسلم قال ﴿قال موسى عليه الصـلاة والسلام يارب علمني ما اذكرك به وادعوك به، فقال ياموسى قل لا إله إلا ا الله، قال موسى عليه الصلاة والسلام كل عبادك يقولون هذا، قال قل لا إله إلا ا الله، قال لا إله إلا أنت انما أريد شيئا تخصني به، قال ياموسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا إله إلا ا الله في كفـة لمـالت بهـن لا إله إلا ا الله﴾، وقال صلى ا الله عليه وسلم ﴿يوتى برجل إلى الميزان ويوتى بتسـعة وتسعين سنجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطايـاه وذنوبـه فتوضـع في كفـة الميزان ثم تخرج بطاقة مقدار الا نملة فيها شـهادة ان لا إلـه إلا ا الله محمـد رسـول ا الله فتوضع في الكفة الاخرى فترجح بخطاياه وذنوبه﴾.

وروي الترمذي ان النبي صلى ا الله عليـه وسـلم قـال ﴿التسـبيح نصـف الإيمان والحمد لله تملأ المـيزان ولا إلـه ليـس لهـا دون ا الله حجـاب حتـى تخلـص إليه﴾، وقال صلى ا الله عليه وسلم ﴿ما قال أحد لا إله إلا ا الله مخلصا من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر﴾، وقال لابي طالب ياعم قل لا إله إلا ا الله كلمة احاج لك بها عند ا الله، وقال صلى ا الله عليه وسلم ﴿امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا الله فإذا قالوها فقد عصمـوا

مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله﴾، وقال صلى الله عليه وسلم اتاني آت من ربي فاخبرني انه من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له دخل الجنة، فقال له ابوذر وان زنى وان سرق، قال وان زنى وان سرق، وقال صلى الله عليه وسلم من دخل القبر بلا إله إلا الله خلصه الله من النار، وقال صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا إله إلا الله دخل الجنة.

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لن يوفي عبد يوم القيامة لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرمه الله على النار، وعنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿لا إله إلا الله مفتاح الجنة﴾.

وروي أنس ان لا إله إلا الله ثمن الجنة، وعنه صلى الله عليه وسلم من لقن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة، وعنه صلى الله عليه وسلم لقنوا أمواتكم ﴿لا إله إلا الله، فإنها تهدم الذنوب هدما، قالوا يارسول الله فأن قالها في حياته، قال هي أهدم وأهدم﴾.

وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره اصابه قبل ذلك ما اصابه﴾ وفي الاحياء قال عليه الصلاة والسلام ﴿لوجاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا عفر له ذلك﴾ وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم ﴿ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور﴾، وفيه أيضا قال لأبي هريرة رضي الله عنه يا أباهريرة كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة ان لا إله إلا الله

فإنها لاتوضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا وضعت السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن كانت لا إله إلا الله ارجح من ذلك، وفيه وقال من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة وقال لتدخلن الجنة كلكم إلا من تابى وشرد عن الله شرد البعير عن أهله قيل يارسول الله من الذي تابى قال من لم يقل لا إله إلا الله، فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة، وفيه وقال الله تعالى ﴿هل جزاء الاحسان إلا الاحسان﴾ فقيل الاحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة لمن قالها وكذا قوله عز وجل ﴿للذين احسنوا الحسنى وزيادة﴾ وفيه ويروي ان العبد إذا قال لا إله إلا الله اتت على صحيفته فلاتمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها.

وفي كتاب عبد الغفور عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تبارك وتعالى عمودا من النور بين يدي العرش فإذا قال العبد لا إله إلا الله إهتز ذلك العمود فيقول الله تبارك وتعالى اسكن فيقول كيف اسكن وانت لم تغفر لقائلها فيقول قد غفرت له فيسكن عند ذلك، وفيه عن أبي ذر قال قلت يارسول الله أوصني، فقال أوصيك بتقوى الله فإذا عملت سيئة فاتبعها بحسنة تمحها قلت يارسول الله امن الحسنة لا إله إلا الله قال هي من أفضل الحسنات وفيه عن كعب اوحى الله إلى موسى في التوراة لولا من يقول لا إله إلا الله لسلطت جهنم علَى أهل الدنيا، وفيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من قال لا إله إلا الله ثلاث مرات في يومه كانت له كفارة لكل ذنب اصابه في ذلك اليوم، وفيه وذكر عن ابن ابي الفضل الجوهري قال إذا دخل أهل الجنة الجنة سمعوا اشجارها واطيارها وانهارها وجميع مافيها يقولون لا

إله إلا ا لله فيقول بعضهم لبعض كلمة كنا نغفل عنها في الدنيا وفيه وحدث أيضا قال يهتز العرش لثلاث لقول المؤمن لا إله إلا ا لله ولكلمة الكافر إذا قالها، وللغريب إذا مات في أرض الغربة.

وعن بعض الصحابة رضي ا لله عنهم من قال لا إله إلا ا لله خالصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفرت له اربعة آلاف ذنب من الكبائر قيل فان لم تكن له هذه الذنوب قال غفر له من ذنوب ابويه وأهله وجيرانه وذكر عياض في المدارك عن يونس بن عبد الاعلى انه اصابه شيء فراى في المنام قائلا يقول له اسم ا لله الاكبر لا إله إلا ا لله فقالها ومسح على ماوجده من الاذى فاصبح معافى وذكر ابن الفاكهاني ان ملازمة ذكرها عند دخول المنزل ينفي الفقر.

وفضل هذه الكلمة كثير لايمكن استقصاؤه ولهذا اختار الأئمة ملازمة هذا الذكر في كل حال حتى ان منهم من لايفتر عنه ليلا ولانهارا ومنهم من يذكره بين اليوم والليلة سبعين الف مرة وأهل التسبب والمشتغلون بالخدمة والصنائع اثني عشر ألف مرة، وروي ان من قالها سبعين ألف مرة كانت له فداء من النار.

وقد ذكر الشيخ ابومحمد عبد ا لله ابن اسعد اليافعي اليمني الشافعي في كتابه الارشاد والتطريز في فضل ذكر ا لله تعالى وتلاوة كتابه العزيز عن الشيخ أبي زيد القرطبي انه قال سمعت في بعض الآثار ان من قال لا إله إلا ا لله سبعين ألف مرة كانت له فداء من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد اعمالا ادخرتها لنفسي وعملت منها لاهلي وكان اذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف في بعض الاوقات بالجنة والنار وكان في نفسي منه شيء فاتفق ان استدعانا بعض الاخوان إلى منزله فبينما نحن نتناول الطعام والشراب معنا إذ

صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعم هذه امي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لايشك من سمعه انه عن امر فلما رأيت مابه قلت في نفسي اليوم اجرب صدقه فالهمني ا لله تعالى السبعين ألفا و لم يطلع على ذلك احد الا ا لله تعالى فقلت في نفسي الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان السبعين الفا فداء هذه المرأة من النار فما استتمت الخاطر في نفسي الا ان قال ياعم هاهي اخرجت الحمد لله فحصلت لي فائدتان ايماني بصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه هـ.

ولنختم هذا الشرح المبارك بادعية ختم بها سيدي محمد السنوسي شرح على العقيدة رجاء بركته نصها:

الحمد لله الكريم الوهاب، المعطي النعم الجليلة لمن شاء بمحض فضله لا لسبب من الاسباب، الفاتح بصائر القلوب بجوده حتى خرقت بنورها حجب الكائنات كلها وظفرت بمنتهى الاراب، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صلى ا لله عليه وسلم معدن الكمالات، والوسيلة العظمى دنيا واخرى لنيل المنى والحاجات، وينبوع الفضائل وأساس الخيرات، المشرف على كل مخلوق لله تعالى في الارض والسماوات، ورضي ا لله تعالى عن آله وصحبه الذين هم بعد غيبته ولحوقه بالرفيق الاعلى الانجم الزاهرات، والذين هم القدوة للخلائق بعده وهم خير الامة الأئمة الهداة، وعن التابعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم يبعث ا لله العظام الرفات، ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا ظلمنا انفسنا ظلما كبيرا ولايغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا انك الغفور الرحيم، ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اللهم ياغياث المستغيثين، وملجأ ذوي الفاقات الملهوفين، اسألك يا أرحم الراحمين ياذا الجلال والاكرام ان تجعلنا في الدنيا

والآخرة من خيار أهل لا إلـه إلا الله ومـن خيـار أهـل معرفتـك وان تمتعنـا اثـر الموت مع الاحبة في جنة الفردوس بجلائل نعمك وجميـل رؤيتـك، وان تغفـر لنـا جميـع ذنوبنـا بلاعقوبـة ولامحنـة، وان تـؤدي عنـا جميـع تبعاتنـا بمحـض فضلـك بلاخزي دنيا واخرى، ياذا الفضل والمنة، اللهم لك الحمـد وإليـك المشـتكي مـن انفسنا ومن عوائق قد عسر معها في هذه الازمنة الصعبـة النجـاة، فأمنـا يامولانـا من ضررها في ديننا ودنيانا حالا ومـآلا حتـى نفـوز بـاعظم رضوانـك في الحيـاة وبعد الممات، اللهم يا ارحم الراحمين انه قد اسـرتنا الاوهـام والهـوى، وضعفـت عن النهوض إلى التمتع بمنيع جنابك العلي، منا القـوى، وقـد اشـتد علينـا وثـاق القلوب، واضعفها واعمي عينها توالى ظلمات المعاصي عليهـا وتراكـم الذنـوب، فقلوبنا تبكي وتندب وان ضحك منا اللسان، وتريد النهوض إلى نيل الكمـالات شـوقا إليـه فيمنعهـا الاسـر والعمـى، ولاتسـاعدها عليـه القـوى ولا النفـس ولا الاركان، فصرنا يامولانا مطروحين في مضيق سجن الافات، مكبلـين فيـه بثقـل قيـود الشـهوات، فيـاذا الفضـل العظيـم الـذي لايحد ولايعلـل ولايقـاس بمكيـال ولاميزان، ياذا الكرم العميم الذي فاض على العوالم كلها حتى طمع فيه القريـب ومن هو في غاية البعد والخسران قد امرتنا ياذا الجلال والاكرام على لسان نبيـك مرسولك سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم بفكـاك العـاني وانقـاذه مـن الاسـر الذي ضرره يسير وعرض فان فنحن يامولانا العانون حقيقة الخـائفون الانقطـاع عما يدوم من الخير العظيم مما خيرت به اولياءك في اعلى الجنان، ولاعوض له من الفوز منك بجميل الرضوان، فمن على قلوبنا وذواتنا المأسورة المحبوسة عن التمتع بلذيذ حضرة جلالك التي لايملك الصبر عنها بما بـه امرتنـا يـاكريم ياوهـاب، يـا ارحم الراحمين، يـامن ليـس معـه في تدبـير ملكـه ثـان، اللهـم اغفـر لنـا ولآبائنـا ولامهاتنا ولاشياخنا واخواننا واحبتنا وذريلتنا واجمـع شملنـا وشملهـم بلامحنـة مـع

اكابر اوليائك في اعلى عليين، ومتع جميعنا إثر الموت في أعلى الفردوس بلذيذ رؤيتك ومرافقة من انعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يارب العالمين هـ.

اللهم انفع بهذا الشرح كل من اعتنى به من أهل الخير والإيمان ومن اللهم على كل من تصدر لقراءته لأولاد المسلمين بحسن الخاتمة والفوز بعموم الغفران، اللهم أجعل هذا الشرح نورا مبينا وعلما مستقيما يهدي من طالعه أو علمه أو تعلمه إلى نيل العلوم الفخرة آمين، ثم اسأل ممن نظر إليه أو استفاد منه ان يدعو لي بالخاتمة الحسنى والفوز بجوار سيدنا محمد خاتم الانبياء وان يصلح ماعثر عليه من الزلل والخطأ، فقلما يخلص مصنف من الهفوات ولو من افصح الفصحاء هـ.

وهذا آخر ما من الله به من الشرح المذكور نفع الله به وبأصله وجعله خالصا لوجهه الكريم، وموجها للفوز بجوار سيد الأولين والآخرين، آمين يارب العالمين، وكان الفراغ منه عشية الأربعاء أو اخر ربيع الثاني من عام 1387 هـ سبعة وثمانين وثلاثمائة وألف، وأسأله تعالى التوفيق لما فيه رضاه، وان يجعلنا ممن اكتفى به و لم يعتمد إلا إياه، وصلى الله على نبيه ومصطفاه، وحبيبه ومجتباه، وعلى آله المنتجين لحماه وصحابته المهتدين بهداه وسائر من تبعه بإحسان وتلاه، آمين هـ، على يد مقيده العبد الفقير محمد عبد العزيز بن علي بن محمد عبد العزيز المهدوي خار الله له آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خيرة خلق الله اجمعين وبعد فلما من الله تبارك وتعالى بتمام هذا الشرح المبارك، الذي هو محض فتح منه تعالى جده رمية وقعت ممن لايحسن الرمي، فضلا عن تقويم النهل وصيد

الاسد والنمر، عرضته على شيخنا الجهبذ الفاضل التحرير، سيد الحاج محمد بن سيد محمد بن الكبير، الذي نفع الله بنفائس علمه الانام، وعم صيته جميع الاقطار، لينظر هل هو مماتعد معائبه فيصلحه ثم يبرز للجمهور أو هو مما لايوافق المعقول أو المنقول فيترك في حيز المجهور.

فصوبه رضي الله عنه ونبه على الخطأ الواقع فيه، جزاه رب الأرض والسموات خير جزاء وأطال حياته لنفع الورى، آمين (نص ماقال).

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (التصويب على سبيل التقريب) وبعد فلما اطلعنا على الشرح المسمى (فتح الملك الوهاب، بشرح هدية الألباب) التي هي من مهمات منظومات الآداب لمؤلفه المرشد النبيل، الابر الزاهد الاصيل، السيد محمد عبد العزيز بن السيد علي التنلاني نسبا المهداوي موطنا.

وجدناه شرحا مفيدا جامعا ومعينا بماضمنه من كان للخيرات مسارعا جزى الله بفضله من تصدى لوضعه وعامله في الدارين بحسن صنعه.

وبالاذن في التصويب تصفحناه ولسنا اهلا للتهذيب إذ قلما يخلص مصنف من خلل، ولوكان للواضع من الفصاحة حلل، ولاسعاف الطالب وجهت النظر قاصرا عن تحرير المطالب، فاوقفني بمواطن من هذا الشرح المفيد، قائلا بلسان حاله هاهنا حصل لي الترديد، وها أنا انبه عليها بالتعين، لماعسى ان يكون نظر الواضع غفل عنها فيستبين، وباصابته فيها يحصل لنا علم اليقين، واني طالب العذر من ذوي العقول، متى أو مات لشيء من هذه النقول، والحق أحق بالقبول هـ، ثم بين ماوقف عليه جزاه الله خيرا.

الفهرس

مؤسسة أشغال الطباعة بولاية ورقلة